

مطبوعات دير
السيدة العذراء . السريان

سلسلة تاريخ

البابوات بطاركة الكرسي الاسكندري

الحلقة الثالثة
البابا متاؤس الأول
البطريك 87 (1378 . 1408م)
والانبا فريج (الشهير بالانبا رويس)

جمع المرحوم الشماس
كامل صالح نخله الاسكندري
عضو لجنة التاريخ القبطي

حقوق الطبع محفوظة للدير

الطبعة الثانية
1717ش . 2001م
تنقيح ومراجعة
الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد أمين
مقدمة الطبعة الثانية
لكتاب سلسلة تاريخ الباباوات بطاركة الكرسي الإسكندري

في الفترة من 1951 . 1954 أصدر دير السيدة
العذراء . السريان . العامر خمس حلقات من سلسلة تاريخ
الباباوات بطاركة الكرسي الإسكندري، ابتداء من البابا
كيرلس الثالث البطريرك 75 إلى البابا ديمتريوس الثاني
البطريرك 111.

ونفذت هذه الطبعات من زمن بعيد.
وبتشجيع من بعض محبي التاريخ القبطي نعيد الآن
تقديم هذه الحلقات في طبعة ثانية منقحة حتى يستفيد منها
أبناء الكنيسة ويعرفون شيئاً عن تاريخ كنيستهم العريقة.
وهذه الحلقات الخمس كما وردت في الطبعة الأولى

هي:
الحلقة الأولى: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا كيرلس
الثالث

البطريرك الخامس والسبعون
الحلقة الثانية: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد الباباوات
من البابا أثناسيوس الثالث البطريرك السادس
والسبعون

إلى البابا غبريال الرابع البطريرك السادس
والثمانون.
الحلقة الثالثة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا متاؤس
الأول

البطريرك السابع والثمانون
الحلقة الرابعة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد الباباوات

من البابا غبريال الخامس البطريرك الثامن

والثمانون

إلى البابا يوانس السادس عشر البطريرك المائة

والثالث

الحلقة الخامسة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد الباباوات
من البابا بطرس السادس البطريرك المائة

والرابع

إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك المائة

والحادي عشر

وستكمل هذه الحلقات بكتاب قيم للمؤرخ الكبير

المتيخ القمص صموئيل تاوضروس السرياني كان قد

أصدره سنة 1977 عن تاريخ الكنيسة القبطية في عهد

الباباوات من البابا بطرس السادس (الجالى) البطريرك

المائة والتاسع إلى البابا كيرلس السادس البطريرك المائة

والسادس عشر.

ونحتاج إلى صلوات كثيرة حتى نستطيع أن نكمل هذا

العمل الضخم من أجل الحفاظ على تاريخ كنيستنا المجيدة

الذي هو جزء من تاريخ مصرنا الحبيبة. التي نطلب السلام

لكل ربوعها والتقدم والرخاء لكل جموعها.

نرجو أن تكون هذه الحلقات المتتابعة سبب بركة لكل

من يقرأها، ويصدق عليه قول الشاعر.

من حوى التاريخ في صدره .. أضاف أعمارا على

عمره.

الله يعيننا بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم

وبصلوات آبائنا البطارقة العظام الذين وردت أسماؤهم

وسيرهم في هذه الحلقات والذين قادوا الكنيسة بحكمة كل

هذه السنين الطوال التي تصل إلى سبعة قرون ونصف.

وببركة وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث
بطيرك هذا الزمان. أطال الله حياته.
ونعمة الرب تشملنا جميعا آمين..

الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان

العامر
صوم الرسل الأطهار يونيه 2001

CUN YEW IC,UROC

تصـدير

انتهت بنا الأيام على عصر شحت فيه الفضيلة، وقل
البر في حياة الأفراد والجماعات، حتى انّت النفوس تحت
ثقل عبء الحياة، لأنها بنظرتها المادية إلى الأمور قد
حرمت نفسها من التمتع بالمعونة الالهية، وسعادة السمو
الروحي، والراحة النفسية. حتى بات الجميع يقررن أن
العالم لن يستطع أن يستمر على هذا المنوال وما هذه

الازمات النفسية والاجتماعية والسياسية التي تجتاحه إلا نذير بتجديد شامل يتطلع فيه الانسان من جديد إلى السماء مصدر المعونة والرجاء، فينفض عنه الهموم والارتباكات، ويذوق ثانية معنى الإطمئنان.

ولعل من أفضل ما يثير كوامن هذا الرجاء، شعور الانسان بأن هناك أمثلة حية من البشر الخاضعين للآلام مثلنا استطاعت أن تحقق الفضيلة في حياتها وتتمتع بفيض بركاتهما.

وشخصية هذا الكتاب المتواضع تعد أفضل نموذج لحياة انسان وصل إلى أعلى درجات القداسة في عصر قست فيه ظروف الحياة على الاقباط إلى درجة تعرف مقدار شدتها إذا طالعت تاريخ الحلقات السابقة من هذا الكتاب فرغم التجارب والمفشات التي اعترضت شبابه المبكر ورغم المسئوليات الجسام التي حملها راضيا بحكم وظيفته إلا أن هذه كلها لم تثته عن أشواقه نحو الفضيلة، بل زادت دربة وحنكة في الصمود أمام أشد المقاومات وغمرته نصرته بفيض من المواهب والبركات. حتى بدت شخصية الأنبا متاؤس من أعظم شخصيات التاريخ القبطي، ولمع نجم بطريركيته إلى أعلى ذروة في سماء الكرسي المرقسي.

فنضرع إلى الرب أن يجعل سيرته العطرة هذه مثيرة لكوامن الفضيلة في النفوس ويعيد للكنيسة مجدها الروحي التليد بشفاعة الأنبا متاؤس وكافة القديسين.

له المجد الدائم إلى أبد الأبدين آمين،

دير السيدة العذراء . السريان

+++++

مصــــادر الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين
نبتدى بكتابة تاريخ البابا متاؤس الأول البطريرك 87 نقلًا

عن

الميمر

الذى كتب من أجل انتقال أبيبنا السيد البطريرك الانبا
متاؤس وذكر انتقال اولاده الشهداء المستشهدين فى أيامه
وفيه من شرح الابوغالمسيس لان هذا البابا كان يحب
معانى أقواله فى حياته إلى يوم انتقاله الذى هو الخامس
من شهر طوبه سنة 1125ش يرحمنا الرب بصلواته امين.
هذا

وقد اعتمدنا فى كتابة تاريخ هذا البابا القديس على
الميمر المتقدم ذكره وعلى ما جاء فى كتب التاريخ الآتية:-
أولاً - المخطوطات القديمة

- (1) كتاب ميامر شهر طوبه المبارك المحفوظ بمكتبة
كنيسة السيدة العذراء الاثرية بحارة زويله.
 - (2) كتاب تاريخ القديس رويس المحفوظ بمكتبة كنيسة
السيدة العذراء الاثرية بحارة زويله.
 - (3) كتاب تاريخ القديس رويس المحفوظ بمكتبة كنيسة
السيدة العذراء بالخنق.
 - (4) كتاب تاريخ البطاركة للأنبا يوساب اسقف فوه
المحفوظ بمكتبة دير السريان ومكتبة جرجس فيلوثاؤس
عوض المؤرخ الشهير.
 - (5) كتاب تاريخ البطاركة رقم 15 تاريخ المحفوظ بمكتبة
الدار البطريركية بالقاهرة.
- ثانياً - الكتب المطبوعة

- (1) كتاب تقاويم العصور المسيحية فى مصر واثيوبيا
للعلامة شِنْ باللغة الفرنسية.

- (2) كتاب التبر المسبوك للسخاوى طبع المطبعة الأميرية بمصر.
- (3) كتاب تاريخ مصر فى القرون الوسطى تأليف العلامة لين بول باللغة الانجليزية.

البابا متاؤس الأول البطريرك (87) المقدمة

لقد عثر على تاريخ البابا متاؤس الأول البطريرك (87) فى الكتاب المتضمن الميامر التى تقرأ فى شهر طوبه المبارك الموقوف على بيعة السيدة العذراء مريم الأثرية الثابت أساسها إلى الأبد بحارة زويله بالقاهرة والمحفوظ بخزانة كتبها الآن وتاريخ كتابتها آخر شهر طوبه سنة 1241ش الموافق يناير سنة 1525م أى بعد نياحة البابا متاؤس بمائة وعشرين سنة ويقول فيها الناسخ انها منقولة من كتاب أبينا القديس رويس الملقب بفريج فلتكن بركته معنا امين.

كما عثرت على صورة من هذه السيرة فى كتاب تاريخ البطاركة المنسوب لانبا يوساب اسقف فوه وصورة اخرى منها فى كتاب تاريخ البطاركة رقم 15 المحفوظ بالدار البطريركية.

ويظهر فى سياق السيرة ان الواضع لها هو أحد تلاميذ البابا متاؤس نفسه الملازمين له والمقربين للقديس رويس بن فريج كما يتضح أيضاً ذلك بصفة صريحة من قراءة أخبار عجائب القديس متى البطريرك بعد وفاته أن هذا الكاتب مقيم بدير أنبا رويس بالخدق ويغلب على الظن انه اسقف الخندق وانه كتبها قبل نياحة البابا القديس وكملها بعد انتقاله من هذا العالم وقد جاء فى هذا الميمر عن لسان كاتبه وواضعه ما يأتى:

"نعم يا أبى البطريرك (اي البابا متاؤس الأول) كان الطوبانى رويس العريان يبشر من أجلك حتى أنه من زايد مسرته بك أخذ قلماً وقرطاساً ودفعهما لى أنا المسكين وثم صعد بى أعلى سلم وأشار لى ان اكتب بما يكون قبل انتقالك قايلًا: "طوبى لمن يكتب سيرة متى وطوبى للذين يحملونها من البلاد القريبة إلى البلاد البعيدة ولهذا ياسيدى الأب الذى دعانى الشوق والطاعة حتى كتبت بما كان معك قبل انتقالك ولا أطلب المديح من الناس بل لما اشار به روح القدس على لسان ذلك الرجل العريان هذا الذى شدد ذراعى مثل قوس النحاس وقوى نطق لسانى كى اتكلم على فضائلك يارئس الكهنة الذى ما كان يستحق أن يتكلم على فضائله إلا أمثاله الكهنة الأولين كالعظيم يوحنا فم الذهب واغريغوريوس التاولوغوس وباسيليوس اسقف قيسارية هؤلاء الذين يستحقون أن يتكلموا على فضائلك وفضائل أولادك الشهداء المستشهدين فى زمانك هؤلاء الذين جمعتهم هذه السيرة الفاضلة ليتم بذكرهم بعدما نبداً بذكر اليسيير من فضائلك منفعة وربحا للسامعين بسلام من الرب أمين.

وقد صدر هذا الكاتب السيرة المذكورة بمرثية عظيمة الفايده مرتبة على الابوغالمسيس أى رؤيا يوحنا الانجيلي لان هذا البابا كان يحب معانى أقواله فى حياته إلى يوم انتقاله الذى هو الخامس من شهر طوبة سنة 1125ش.

وقد قمت بمطابقة هذه الصور الثلاث لسيرة البابا القديس متاؤس الأول البطريرك 87 المتقدم ذكرها ووجدتها طبق الأصل إلا أن نسخة بيعة العذراء القديسة بحارة زويله هى التى اعتمدت عليها لأنها أقدم الصور من جهة ولدقتها من جهة اخرى فضلا عن انفرادها بذكرى الشهداء الذين نالوا اكليل الشهادة فى عهده فضلا عن شرح

الابوغالمسيس الذى كان يحب هذا البابا أقواله فى حياته
نفعنا الله ببركاته هذا البابا القديس ومعاصره القديس أنبا
رويس والشهداء المباركين المعاصرين لهما امين.

تاريخ

البابا القديس متاؤس الأول بالتفصيل

1- طفولية القديس متى

كان هذا البابا القديس الطاهر من ضيعة صغيرة من أعمال الأشمونين وتسمى بنى روح من صعيد مصر وتربى فى مكتب البلدة حتى حفظ المزامير والمردات وتعلم القراءة والكتابة. وبعد ذلك عهد اليه والده منذ طفوليته بالقيام بمهام رعى الغنم فى بيت أبيه. وان الله المظهر عجائبه فى قديسيه أظهر فى هذا الطفل منذ حداثة سنه فى الرعاية أعمالا عجيبة. فانه لما كان يقف ليلعب مع الأطفال أمثاله كان يضع يده على رأس كل واحد من الأطفال ويقول: "أكسيوس. أكسيوس. أكسيوس" ثلاثة مرات وكان يرسم جمعة منهم قسوس وآخرين شمامسة حتى كانت والدته المباركة تعجب لذلك وتشير إلى الجمع قائلة: "ان ابنى هذا لابد أن يصير بطيريركا" متنبئة بذلك بالهام من الله سبحانه وتعالى. وصار يمارس هذه الأعمال فى صغر سنه إلى أن بلغ عمره أربعة عشر سنة (كتاب 15 تاريخ ص 272 وفوه ص 165).

2- ميله إلى الرهبنة منذ حداثة سنه

لم يمكث الطفل متى قليلا حتى كبر ونشأ فلما صار له من العمر أربعة عشر سنة ترك حينئذ بيت أبيه ومضى إلى ديارات الصعيد وعمل به راعياً للغنم كعاداته. وكان لا يلبس على جسده ثوبا بالكلية بل كان يتزر بعباءة وحبل

على حقويه. وكان مع حقارته فى ملبسه وانكار ذاته بهذه الصورة ذا شجاعة ممتازة وقوة شديدة حتى أنه من عظم شجاعته كان الرعاة الذين يكبرونه سنا إذا رصدتهم الضباع فى الليل للسطو على اغنامهم كانوا لا يقدرّون على مقاومتها فكانوا يمتحنون هذا الأب فى شجاعته النادرة فيبعثونه إلى تلك الضباع. وكان إذا دنا منها وزعق عليها بصوته تقفز منه وترجع هاربة منه حتى كان الرعاة الذين يكبرونه سنا يندهشون من عظم شجاعته وسرعة اقدامه. وكانت نعمة الله تعالى حاله على وجهه الصبوح. (فوه ص 165 "أ" وكتاب 15 ص 273).

3- انتصاره فى أول تجربة حلت به

وكان هذا الشاب متى حسن الوجه تام القامة محبوب الشكل جميل المنظر وكان كل من يتطلع إليه يميل إلى محبته واكرامه.

وكانت هناك امرأة فى المكان الذى كان يتردد عليه فلما وقع نظرها على هذا الشاب القديس أخذت مشاعرها زيادة حسن هذا الشاب واشتهت جمال حواجبه وتسلطت عليه. فما كان منه لشدة ورعه ونسكه الا ان انفرد علي ناحية وحده وقشط حاجبيه وأخذهما وجاء بهما لتلك المرأة قايلا لها: "خذى يا امرأة شعر الحاجبين اللذين اشتهيتيهما" فلما نظرتة الامرأة تألمت لذلك جدا ولكنها لم تكف عنه حتى سأل الاسقف الذى تتلمذ له أن يطلق سبيله لان تلك كانت تقيم فى منزل مجاور لدار الاسقف وكان الشاب يكتم أمر هذا الحادث على الاسقف حيث لم يرد أن يشهره. ولكن الامرأة ازدادت فى أمر التسلط على هذا البار فتقدم للاسقف وسأله أن يطلق سبيله فلم يشاء وما كان من الوديع متى إلا أن ادعى الهبل والجنون وجمع للوقت ثياب الأسقف وبلالينه الموجودة تحت يده فقطعها جميعها قطعاً

صغيرة وطرحها كوم شرايط وخرق. فلما نظر الاسقف هذا العمل ارتعب قلبه منه واطلق سبيله . ففرح الشاب فى وقته لنجاح حيلته وقام ومضى إلى دير. ولم يكن الاسقف يعلم انه فعل هذا بسبب تلك المرأة بل كان يعتقد انه فى حاله جنون اعتراه. ولكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يبرر تصرفات الشاب مع أبيه الأسقف فسألهم جماعة من المؤمنين أن يزوروا الأسقف ويطلعوه على جلية الأمر فاعلموه بما اتفق لهذا الشاب مع تلك الامراة. فلما تحقق الاسقف صحة الخبر ندم على طرد هذا القديس وصار يتوقع الاجتماع به مرة أخرى (فوه ص 165 "أ" و 166 وكتاب 15 تاريخ ص 273 "أ" و 274).

4- رسامة الشاب متى الراهب قساً

وقد تصادف بترتيب الهى ان اجتمع الاسقف بالراهب الشاب متى فقبض عليه ورسمه قسا وهو ابن ثمان عشرة سنة. فلما ذاع خبر الرسامة ووصل إلى مسامع أب الراهب متى الروحانى وهو الأب ابرام القمص الفانى قام فى الحال وقابل الاسقف واعترض على تصرفه هذا قايلًا: كيف جسرت يا أبانا وكرزت صبيًا شابًا راعى غنم قسا وهو ابن ثمان عشرة سنة" فاقنعه الاسقف ان الشاب يستحق أن يكون بطيريركا لما كان يعلمه عن احواله لأن هذا الشاب الراهب كان فى مدة مقامه عند الاسقف يصوم فى زمن الصيف يومين يومين وفى زمن الشتاء ثلاثة ثلاثة. فلما سمع القمص أبوه الروحى ما شهد له به الاسقف تعجب ومجد الله المتكلم على أفواه قديسيه (فوه ص 166 وكتاب 15 تاريخ ص 274).

5- هربه إلى جبال القديس انطونيوس بالبرية

ولما نظر القس متى ما وقع من النزاع بسببه مضى إلى جبل القديس أنطونيوس واختفى فى الدير ولم يظهر

لأحد أنه كاهن. وكان في خدمته في الكنيسة يعمل كشماس بسيط حيث لم يشأ أن يعلم أحداً بأنه قسيس كاهن ولكن إرادة الله هي فوق كل إرادة لأنه حصلت معجزة بسبب تنكره هذا فإنه في أثناء الخدمة في البيعة خرجت يد من الهيكل واعطته البخور ثلاث دفعات عند قراءة الانجيل ثم غابت عنه فلما نظرها بعض شيوخ الرهبان القديسين وتحققوا من رؤيتها أعلموه أنه لا بد أن يصير بطريكاً فلما سمع هذا منهم حزن جداً وقام وخرج من الدير (كتاب 15 تاريخ ص 274 "أ" وفوه ص 166).

6- رحلة القس متى إلى اورشليم

خرج القس متى من الدير وفي عزمه أن يتوجه إلى اورشليم فوصلها وتغرب هناك وكان يعمل كأجير في الفاعل ويأكل من كده وتعبه وكان من عظم جهاده في النهار يقطع الليل كله ساهراً في مغارة ولا يخالط أحداً. وكان لا يتكلم في اليوم سوى سبع كلمات وأما يوم الجمعة فلا يتكلم فيه بالكلية مع أحد ما بل كان يتكلم في الوحدة مع السيد المسيح النهار كله.

وهكذا ما برح هذا القس يجاهد في اورشليم وهو يخفي حقيقة نفسه عن العالم إلى أن حضر إليه راهب غريب الجنس. فقال له هذا الغريب: "يارجل الله ارحمني فإنه كان معي مبلغ من الفضة ينفعني في غربتي سرقوه مني ولا أعلم من هو الذي أقدم على سرقتها مني" وكان الذي سرقها أخذها في خفية وسار لساعته إلى بيت لحم قاصداً الهرب إلى بلاده. فلما علم الأب متى بالروح أمره ترك الراهب قائماً مكانه ومضى لساعته إلى بيت لحم وهناك قبض على السارق وأخذ الفضة المسروقة منه في خفية حيث لم يرد أن يشهر به وعاد إلى اورشليم وأعادها إلى ذلك الراهب صاحبها فتعجب الراهب من غرابة هذا الحادث

وتعجب كثيراً لذلك وذاع الخبر لكل أحد في أورشليم فلما علم الاب الورع متى ان امره اشتهر في مدينة الله أورشليم المقدسة قام لساعته ورحل منها عاد إلى جبل القديس انطونيوس كما كان (فوه ص 166 وكتاب 15 تاريخ ص 274 و 275 "أ").

7- عودة القس متى إلى دير انطونيوس العظيم
لما اشتهر أمر القس متى في أورشليم غادرها وعاد إلى ديره بجبل القديس انطونيوس العظيم. وقد ناله عند عودته احزان كثيرة منها ان ملك البلاد المصرية حقد على النصارى لما وقع من الافرنج ما وقع في مدينة الاسكندرية.

8- اضطهاد القس متى والشيخ مرقس الانطواني
من دير القديس انطونيوس

هجم طوايف من الافرنج على مدينة الاسكندرية نهبوا أموالها وسبوا حريمها ثم تركوها ومضوا. وقد كان لهذا الحادث اثر سيئ على نصارى مصر فان الأمير يلغا الذى كان حاكماً فى تلك الأيام قام بالانتقام من هؤلاء النصارى وأرسل رسلاً إلى جميع الديارة الواقعة داخل دايرة سلطانه يطلب أموالهم ويستولى على أوانيهم. فلما بلغ الرسل إلى دير أبينا انطونيوس قبض الأمير الذى كان على رأس الرسل على القس متى الذى كان رئيساً فى تلك الايام وعاقبه كثيراً للحصول على أموال وذخائر الدير حتى انه من زيادة شدة العقاب الذى حصل له صار كلما اقسام القس متى على الأمير أن يمسه عن الضرب من أجل الله عز وجل فلم يسمع لاستغاثته ولم يمسه عنه الاذى حينئذ حنق عليه الشيخ مرقس الانطوني وانتهر الامير قايلًا: "أما تتظريا هذا انه يستحلفك بالله لترأف به وانت لا تقبل مرضاة الله" فلما سمع الأمير كلام الشيخ ازداد حنقاً وأمر

الجند أن يطلقوا سراح القس متى ويضربوا الشيخ عوضا عنه وهكذا طرح الجند بالشيخ أرضا وضربوه أمام الأمير .
بعدهما فرغ الأمير من عقاب الرهبان وشيخهم ورئيسهم أوثق الشيخ مرقس والقس متى وجماعة من الأخوة وانطلق بهم إلى مصر . ثم ضيق عليهم في الطريق كثيرا بالجوع والعطش والمشى حفاة في البرية . وكان الشيخ كلما سأل الأمير أن يسقيهم قليل ماء لا يفعل بل بالكاد دفع لهذا الشيخ قليلا من الماء دون رفقائه فامتنع الشيخ مرقس من ذلك ولم يقبل منه الماء حيث لم يشأ أن يشرب الماء وحده دون رفقائه وطرح الماء أمام الأمير وانتهره قائلاً: "هوذا الرب هنا يسقينا من عنده لأنه أكثر رحمة منك" ثم رفع عينيه بحدة نحو السماء فاستجاب الرب لنداءه واسقط لهم مطراً غزيراً فبالحال حتى تعطل سير الحملة واضطر الأمير ورجاله إلى الوقوف مكانهم وتعذر سير الخيول من كثرة مياه الأمطار المتدفقة وكان ذلك في زمن الصيف حيث تعب الاخوة وعطشوا جدا من شدة حرارة وتعب الطريق وحينئذ جلسوا وقت المطر واستراحوا وشرب جميعم وفرحوا وأخذوا يسألون الشيخ القديس أن يصلى عنهم كي يصلوا إلى مصر ويدخلوها سالمين فاجابهم قايلاً: "ان الله لا يدعكم تدخلون مصر بل ستعودون إلى ديارتكم سالمين" ..
وهكذا ما برح الاخوة يسيرون في الطريق إلى أن بلغوا اطفيح وهناك وجدوا أن الأمير يلغا قد انجز مرسوما بارادة الرب عز وجل وارسله إلى اطفيح يأمر فيه باطلاق سراحهم وعودتهم إلى دياراتهم . وهكذا عاد الشيخ والقس متى الرئيس والاخوة في اثرهما وهما يرددون آيات الشكر لله ويقدمون له المجد والاكرام على عطفه وحنانه وعجايبه المدهشة .
(كتاب رقم 24 تاريخ بمكتبة دير السيدة العذراء بحارة زويلة ص 84 "أ" و 85 و 86).

وهكذا لم يمكث القس متى بالدير الانطوني إلا قليلا
فاخذ الاذن من الطوباني مرقس ومضى إلى دير المحرق
بجبل قسقام (كتاب 15 تاريخ ص 275 وفوه ص 166 "أ"
و 167).

9- القس متى فى دير المحرق بجبل قسقام

كان سفر القس متى من دير الأنبا انطونيوس إلى
دير المحرق بجبل قسقام بتدبير من الله تعالى لمنفعة
الاخوة رهبان هذا الدير لأنه كان فيهم من لا يداوم على
الصوم فى كل يوم إلى التاسعة فعلمهم هذا الأب ضرورة
المداومة على الصوم إلى التاسعة وكان يبذل قصارى جهده
فى كل يوم أمامهم كى يتعلموا منه بالنظر ما هو أفضل
من السماع به. فكان تارة ينقل الرماد على رأسه ويغسل به
أوانى المطبخ والقذور ويخدم الشيوخ والمرضى منهم ويقوم
بالواجب نحو الواردين والمترددین. وكان مثالا كبيرا فى
التقشف وزهد العالم فلم يكن له ثوب ولا قنية ولا قلاية بل
كان أكثر اقامته فى مغارة خارج الجبل يصلى فيها وكان
الشيطان يثير عليه فى تلك المغارة ضربا كثيرة ويظهر له
خيالات مفزعة فكان يهيج عليه السباع والضباع الكاسرة
ليأتو اليه ويفترسوا به وكان هذا الأب القديس لا يخاف
الضباع البتة بل كانت حينما تنظره تأنس اليه وتخافه
وترهبه حتى صارت فى اليوم الذى لا تجد فيه قوت
رضعائها تحملها اليه وتشكى فيعلم شكواها ويعطيها ما
عنده من الخبز لتقتات به ويترك ذاته جائعا أياما طويلة
بلا أكل إلى أن يعود إلى ديره.

وكانت الوحوش المفترسة لمحبتها فيه وتعلقها به تسير
معه إذا سار فى الطريق وترجع عنه ولا تخالفه إذا أمرها

بالرجوع. وكان مع خضوع هذه الوحوش الكاسرة لسلطانه لا يفتخر بذلك ولا يتحدث به.

وكان القس متى لا يتدبر برأى نفسه قط بل كان إذا عرض له فكرة يترك كل ما هو فيه ويسعى على قدميه ليلا ونهارا إلى أن يمضى إلى مدينة أخميم فيشاور أباه القمص هناك ثم يرجع إلى دير المحرق واستمر على هذا الحال فلم يبرح أن يتدبر فى تصرفاته بالطاعة والاستشارة من وقت لآخر إلى اليوم الذى أتفق فيه انتقال البطريرك الذى كان قبله من هذا العالم (فوه ص 167 "أ" وكتاب 15 تاريخ 275 "أ" و276).

10- ترشيح القس متى للبطريركية

انتقل البابا غبريال الرابع البطريرك (86) من هذا العالم فى يوم 3 بشنس سنة 1094 ش الموافق 28 أبريل سنة 1378م فى أيام سلطة الملك على بن شعبان المنصور ولبث الكرسي بعده خاليا نحو ثلاثة شهور. فقام جماعة من الشعب يبحثون على من يصلح للبطريركية من الرهبان لترشيحه إلى أن استقر رأيهم على أن يسألوا القس متى فى أن يصير بطريركا عليهم فلم يرض وقام واختفى عن الأعين ونزل فى مركب للايجار إلى الجهات القبلية. إلا أن الطبيعة عاكسته بارادة الله عز وجل اذ امتنع الهواء أن يخرج فى هذا اليوم. والشعب قايم فى البحث عنه إلى أن أتى طفل بالهام الهى وكان صغير السن فغمزهم عليه قائلا: "إنه مختبئ فى خن المركب" فاسرع الشعب بالمضى اليه واخرجوه من الخن المختبئ فيه.

ولما علم انه ليس خلاص من ايديهم حينئذ سالهم بالحاح كبير أن يرسلوه صحبة اثنين منهم إلى جبل القديس انطونيوس ليشاور أبائه الشيوخ فيما هو معروض عليه.

فاجاب الشعب طلبه وذهبوا به إلى الدير المذكور وعندما وصله وابصره شيوخ الدير قاموا عليه وعلى الأخص الأب الطوباني مرقس وأشاروا له بان لا يبرح عما رسم له بل يستعد ويقبل الخدمة ويعمل بطيركا (كتاب 15 تاريخ ص 276 "أ" وفوه ص 167 "أ").

11- رسامة القس متى بطيركا باسم متاؤس الأول وصل القس متى مع وفد الأمة إلى مصر. ولما تحقق له أمر اختياره للبطيركية بصفة نهائية تألم قلبه لذلك جدا حتى لما زاد به الألم أخذ مقصا من فولاذ وقطع به طرف لسانه وطرحه أمام الشعب ولما رأوا ذلك منه تألموا جدا وقصدوا معالجته فلم يمكنهم من ذلك لكن الرب أفسد تدبيره فان الاله القدير الذي أطلق لسان زكريا بعد الخرس هو الذي أطلق لسانه فتحقق للأمة أن راعيهم هذا هو مختار من الله لإعتلاء الكرسي الرسولي المرقسى (كتاب 15 ص 276 "أ" وفوه ص 167 "أ").

البابا متاؤس الأول البطيريك الكبير الملقب بالمسكين وبعد ذلك أمسكه الشعب وأعضاء المجمع المقدس ورسموه بطيركا في اليوم الأول من شهر مسرى سنة 1094ش الموافق 25يولييه سنة 1378م في مدينة الاسكندرية مقر كرسيه باسم البابا متاؤس الكبير البطيريك (87) وكان جملة من اجتمع من أعضاء المجمع المقدس ووضعوا اليد عليه بالاسكندرية في ذلك اليوم احد عشر اسقفا وكان يود من المسيح أن يرسل له الاسقف الثاني عشر وانه لم يخرج من الاسكندرية حتى أرسل له السيد المسيح الاسقف الثاني عشر وكملاوا جلوسه بطيركا في اليوم السادس عشر من شهر مسرى لمحبتته في ذلك اليوم الذي هو يوم تذكار سيدتنا العذراء الذي كان يحبها

ويحتمى فيها ويلجأ إليها في كل حين. (كتاب 15 تاريخ ص 276 "أ" و 277 وفوه ص 167 "أ" و 168).
12- توجيه اهتمامه نحو تأدية فروض الصلوات واعانة المساكين

والراهبات والرهبان

لما تولى البابا متاؤس الأول على الكرسي الرسولى لم يغير شيئاً من نظام طريقته التى كان يسلكها قبل البطريركية بل حافظ على نسكه وتواضعه فى أيام بطريركيته. فانه منذ ان اعتلى الكرسي قام بتتصيب جرس من نحاس فى القلاية البطريركية بحارة زويله وصار كل من يسمع دقات الجرس ينهض لتأدية فروض الصلاة فى أوقاتها وممارسة الصوم فى كل يوم إلى الساعة التاسعة. وكان مع حرصه على الصلوات والسهر لا يغفل عن رحمة المساكين واعانة المحتاجين فانه اذا نصب كرسي الحكم وجلس للفصل فى القضايا ثم وافاه انسان جايح أو مسكين فكان يترك مجلس القضاء وينظر فى حال ذلك المسكين أو الجائع لأنه أفضل فى نظره من مجالس الحكم لأن هذا البابا القديس ما كان له من الاهتمام بالحكم مثل التفاته للمساكين ومنح الصدقة وعمل الرحمة . وكان من زايد اهتمامه بالصدقة والرحمة انه فى اليوم الذى لا يطرق بابه مسكين أو بائس كان يقوم بنفسه ويطوف على بيوت الأرامل والمساكين والبؤساء ويفتقدهم حتى الذين فى السجون فكان يزورهم ويتعهد كل واحد منهم.

ولم ينس هذا البابا الرحوم ديارات الراهبات والرهبان بل كان يهتم بامرهم أكثر من كل شئ فكان يطوف على كل دير من دياراتهم وينظر فى حالهم ولما عبر مرة على ديارات الراهبات وجد راهبة عجوز مسكينة جلست وقت الساعة التاسعة تأكل خبزاً وملحاً فقط فتألم من ذلك كثيراً

وحزن قلبه على الراهبات حتى صار لا يغفل عن افتقادهن
وصار يرسل إليهن في كل شهر القمح والحبوب والزيت
وغير ذلك من يوم بطيركيته إلى يوم انتقاله.
وكذلك لم يترك الذين في الديارة والجبال بلا عائل بل
كان يرسل لهم أيضا جميع ما يحتاجون اليه ويحمله اليهم.
كما كان يفقد الذين في الضوايق والشدايد من جميع
الطوائف فكان يتلقى عنهم تلك الشدة وكان يعمل لخلاص
الذين في السجون فكان يطرح ذاته على أبواب الامراء
والحكام ويبذل لهم الأموال الكثيرة حتى يخلص نفس كل
انسان من تلك الشدايد وكان يطلب العوض في ذلك من
رب الاحسان والرحمة المسيح الهنا الذي كان يرسل له
العوض أضعافا وكان كلما ازداد في صنع الخير والرحمة
تزايدت اليه العطايا من ذهب وفضة وكان يصرفه أولا بأول
على المساكين دون أن يدخر له شيئا منها (فوه ص 168
وكتاب 15 ص 277).

13- درس في الاعتماد على الله بدلا من المال
اعتراض تلاميذ البطريرك على عدم احتفاظه بالمال
للعوارض

لقد قام تلاميذه باحصاء ما تخلف عن البابا غبريال
الرابع سلف البابا متاؤس الأول فوجدوا انها تزيد عن مائة
الف درهم وزعها جميعها صدقة منه على المساكين والفقراء
والمحتاجين.

ولما رأوا ان كل ما كان تحت يده وجميع ما يحمل
اليه يقوم بصرفه وتوزيعه أولا بأول على المساكين قاموا
على هذا البابا الرحوم وخاصموه وأشاروا عليه أن يبقى
شيئا يدخره تحت يده لطارئ يطرأ عليه أو عارض غير
منتظر. ولما اشتدوا عليه بالحاحهم حفر في الأرض حفرة
ووضع فيها ستمائة دينار. وبعد ذلك فكر البابا متاؤس في

نفسه وقال: "يامتى ان الرب يقول فى الانجيل المقدس لا تكنزوا لكم كنوزا فى الأرض حيث السوس يفسدها والسارقون يحتالون فيسرقون وانت حبست ذلك عن المساكين وخرزنته فى الأرض وخالفت قول الانجيل. أو ما تعلم ان الله سبحانه وتعالى يعوض بدل ما تعطيه للمساكين أضعافاً" وندم على ما فعل وبكى ثم قام لساعته ليخرج تلك الستماية دينار التي خبأها. واذا فى أثناء الحفر يجد ستماية دينار اخرى كانت مخبأة كشفها له الرب من أجل رحمة المساكين. فلما نظر ذلك تعجب وصار يبكت تلاميذه على قساوة قلوبهم وعدم ثقتهم برحمة الرحمن الاله القدير قائلاً: "انظروا يا أولادى اذا كان هذا صنيع الرب مع من ينجز ويعطى المساكين فكيف تمنعونى أنا الحقير أن لا أعطى لأولئك المساكين" ثم أخذ للوقت الألف ومايتى دينار وأشار على تلاميذه أن يشتروا بها غلة وقام بتوزيعها على الديارات والمحتاجين (فوه ص 168 "أ" وكتاب 15 تاريخ ص 277 "أ" و 278).

14- مقاومة البابا للمجاعة ومكافحة الغلاء بالهام الروح

القدس

الهم الله سبحانه وتعالى البابا القديس متاؤس بقرب حدوث مجاعة كبرى وغلاء كثير فقال هذا البابا لتلاميذه: "قوموا يا أولادى واشتروا الف اردب غلة للمساكين لأن غلاء عظيماً سيقع بارض مصر ويموت الكثيرون من المساكين" فاجاب تلاميذه قائلين: "من أين لنا يا أبانا أن نشترى الف أردب غلة وليس معنا من ثمنها سوى خمسمائة ديناً لاغير" فقال لهم البابا المتكل على رحمة مولاه: "اشتروا يا أولادى ولا تخافوا والرب يهئ لنا خمسمائة دينار اخرى لأجل المساكين". ولم يفرغ الكلام من فم البابا القديس حتى وافت اليه امرأتان من أعيان الناس ومعهما خمسمائة دينار

وسألوه أن يشتري بها قمحا للمساكين. فلما نظر التلاميذ هذه الاعجوبة العظيمة اندهشوا مما حصل وأمنوا بأن الاعتماد على الله سبحانه وتعالى خير من الاعتماد على البشر والمال المدخر وقاموا في الحال واشتروا تلك الغلة كما قال لهم ابيهم البابا متاؤس (كتاب 15 تاريخ ص 278 "أ" وفوه ص 169).

وبعد ما اشتروا الغلة لم يلبث الأمر طويلا حتى وقع بمصر ذاك الغلاء الصعب وهاجر اناس كثيرون من بلادهم واجتمعوا عند البابا البطريرك حتى امتلأ طريق قلايته من الجياع والمطروحين. وكان هذا البابا ينظر إلى كل طائفة منهم ويتألم قلبه عليهم وكان يهتم لهم جميعا بما يحتاجونه يوما فيوما إلى أن ارتفع ذلك الغلاء وزالت الشدة عن الأرض (كتاب 15 تاريخ ص 278 "أ" وفوه ص 169).

حينئذ دعا الغرباء وغيرهم وأعطى لكل واحد منهم ثوبا وكساء له وللنسوة ما يجب لسترتهم ثم زودهم جميعا وكرى لهم سفنا تحملهم وأرسلهم إلى بلادهم حتى تعجب الناس لكثرة الثياب والأردية التي اقام مدة في تفصيلها وخطاطتها حتى كفت الجميع في ذلك اليوم. كما كان يهتم بالأموات منهم فيكفنهم ويدفنهم. وكان يفعل الرحمة مع كل الطوائف نصارى ومسلمين ويهود. (كتاب 15 ص 279 وفوه ص 169).

وكان الله سبحانه وتعالى يبارك في جميع الغلات وغيرها كما بارك في الخمس الخبزات والحوتين حتى صار تلاميذه اذا شكوا اليه من عدم وجود الغلة وان ما بقي في المخازن لا يكفي الجمع للغد كان يقول لهم: "فرقوا يا أولادى ولا تخافوا لأن عندى مخازن أخرى فايضة ملأنة" ولم يكن يعنى هذا البابا المخازن الأرضية بل كان يقصد المخازن

السماوية. لأنه كان من عادة البابا متاؤس أن يعيد للسيدة العذراء الطاهرة والدة الاله وكذلك لرئيس الملائكة ميخائيل الطاهر عيدان في كل شهر وكانت المخازن اذا نقصت ودخل وباركها في هذين العيدين كانت تمتلئ غلتها وتفيض من البركة السماوية. ومما يحسن ذكره في هذا المقام انه لما شعر بقدوم وطأة الغلاء اشترى للديارات والجبال الف اردب ترمس لسد حاجات الرهبان وقت وقوع الغلاء. ولكن حدث ان بعض الاخوة الرهبان لما رأوا إبطاء وقوع هذا الغلاء صاروا يحمون من ذلك الترمس في النار كالزبل فلما حل وقوع ذلك الغلاء ندم اولئك الرهبان كثيرا على سوء تصرفهم وأما الذين حفظوا ما عندهم صاروا كلما جاعوا ولم يجدوا ما يقتاتون به صاروا يأكلون الترمس ويمجدون الله على هذا الحال. (كتاب 15 ص 279 وفوه ص 169 "أ").

15- الرحمة تأتي ثماراً جيدة

ولما نظر الأغنياء الذين بلا رحمة إلى صنيع هذا البابا ولمسوا زايد محبته في الرحمة صاروا يقتفون اثاره ويصنعون كما يصنع حتى ان أحد الأغنياء يسمى السعيد بركه بن وجه المهراني أتى إلى البابا وطلب قايلا: "اني أسألك أيها الأب أن تسأل السيد المسيح كي يعطيني رحمة في قلبي لاحب رحمة المساكين مثلك ويجعل انتقالي قبل وفاتك ويكون موتى أمامك. وأنا أعطى المساكين كل مالي لاجلك" فقال البابا "كايما نك يكون لك يابني وكما اشتهيت يكون لك مثل قلبك" ومن تلك الساعة أعطى المسيح لذلك الانسان رحمة في قلبه كما طلب إلى أن صار لا يرد أحدا ممن يسأله بل لابرح يصدق ويعطي وكانت أكثر صدقاته على الراهبات إلى أن بلغت صدقاته على يد هذا البابا نفسه الف اردب غلة في كل عام فلما أرضى الاله بأعماله

ودنت ساعته حركته الارادة الالهية فطلع ذات يوم إلى القلاية كى يتبارك من السيد البطيريك كعادته وفى تلك الساعة أدركه الموت فى حضرة البطيريك كما طلب حتى تعجب من أمانته الصادقة فكفنه بيده الطاهرة وكتب على كفنه: "سألت فاعطيت. قرعت فُتِح لك لأن الله يسمع لأنه هكذا سمع للمرحومين والمتواضعين". (فوه ص 169 "أ" و 170 وكتاب 15 تاريخ ص 279 "أ" و 280).

وأما الأغنياء الذين بغير رحمة فقد حضر البابا متاؤس انسانا عند موته وهو التاج بن الثمار وسأله أن يعطى شيئاً من ذهبه وفضته قبل موته فلم يسمع له ذلك الغنى ومات لساعته وأحاطت به الظلمة اذ أرسل الملك اليه قائداً ظالماً قبل أن يخرج البابا من بيته فوضع يده على خزائن ذلك الغنى وأخذ كل ذهبه وفضته وذخايره قبل موته ثم مات ميتة رديئة مقهوراً وراحت نفسه فى الجحيم لأنه هكذا الشقاء الذى يحل بالأغنياء عديمى الرحمة (كتاب 15 تاريخ ص 280 وفوه ص 170).

لهذا كان البابا متاؤس يحب أن يداوم جميع الناس على الرحمة كما أحبها هو ولذلك كان لا يترك لذاته شيئاً الا ويصدق به حتى انه فى اليوم الذى لا يجد فيه شيئاً يتصدق به كان يعطى البساط الذى تحته للمساكين وفى دفعة تصدق بثوبه ووزرته وفى حين آخر بالدواة النحاس الموضوعه أمامه (فوه ص 170 وكتاب 15 ص 280).

ووفاه ذات يوم انسان جايع عند المساء وكان جالساً يأكل طعامه فأخذ عشاءه من أمامه ودفعه لذلك الجايع ثم خرج وقرع الأبواب مثل مسكين فى طلب رغيغ. فلما قرع الباب وتحققوا انه صوت البطيريك خرجوا له وسألوه أن يقبل أكثر من رغيغ فلم يفعل. (كتاب 15 تاريخ ص 280 وفوه ص 170).

وفي دفعة أرسل أحد تلاميذه يحضر له طعاما عند المساء فلما أبطأ ذلك التلميذ عن الحضور صار يبكت نفسه قايلًا: "لماذا لم تكتف بالتراب عن الطعام ثم أخذ لساعته يغمس خبزه في التراب ويأكل إلى أن استكفى بالتراب عن الطعام (فوه ص 170 وكتاب 15 تاريخ ص 280" أ).

فتعجب تلاميذه لعظم صبره ليس في المأكَل فقط بل وحتى في الثياب والبرنس الذي له. لأن هذا البطيريك لم يكن يهتم بحاجة الجسد ما كان يلتفت إليها بل كان يكتفى بمسح شعر من تحت ثيابه ويعطى جميع ما عنده لأولاده الأساقفة ولا يدع عنده غير برنس واحد برسم الخدمة. وفي إحدى المرات سأل تلاميذه أن يعطوا ذلك البرنس الوحيد لأسقف مسكين قد أقامه فامتنع تلاميذه عن ذلك. فلما امتنعوا أرسل له الرب في تلك الساعة برنسا جديداً من حرير كمخه أحسن من الذي عنده فاعطاه لذلك الأسقف فلما نظر التلاميذ ما كان مجدوا الله وندموا على مخالفتهم له ولم يعودوا بعد ذلك يخالفونه (كتاب 15 تاريخ ص 280" أ" و 281 وفوه ص 170" أ).

تواضع البابا متاؤس

وكان البابا متاؤس مع ما اتصف به من فايق الرحمة لا يتعاضم قط ولا يتكبر لأنه حاز مع الرحمة على فضيلة الاتضاع. وكان إذا دعت الضرورة يعمل مع الفعلة والعمال معاجن الطين وينزح مراحيض البيعة الذي هو فيها مع العلمانيين. وكان يحمل الغلال من التراسين وكان يقوم أيضا في الليل ويجرى خلف الحمير. وكان مع هذا كله لم ينحط قدره ولم تذهب عنه هيئته بل ازداد مجدا ووقارا في أعين الناس. (فوه ص 170" أ" وكتاب 15 تاريخ ص 281).

خدمته الكهنوتية وحلول الروح القدس عليه أثناء تأديتها وكان البابا متأؤس إذا لبس وتقدم لخدمة الكهنوت يتغير لون وجهه كالجمر ويصير لمع عينيه كالبرق لأنه كان ينظر بالعقل ابن الله قائما على المذبح فيخاف من هيئته جدا حتى انه من زايد خوفه كان الكهنة يسألونه الجلوس على الترونس (العرش البابوي) وكان يتمتع من ذلك ولا يجلس عليه قط ويخاطبهم قايلا: "يا أولادى هنا يجب أن يكون السجود أمام تلك الخدمة الرهيبة". وكان مع حرصه ينهر ويزجر كل كاهن كى يحترص فى خدمته خشية الملك السماوى الجالس على العرش. وكان كل كاهن لا يسمع له يحرمه فيموت لساعته. حتى أنه ذات مرة احتقر أحد الشماسة حرم هذا البابا وتجاسر على الخدمة فسقط للوقت من سلم عال وتقطع قطعاً ومات. (فوه 170 "أ" و 171 وكتاب 15).

وفى دفعة قام انسان باخفاء الحجج المكتوبة عن بستان لأطفال أيتام فلما كلمه البابا متأؤس فى هذا الخصوص كان جوابه: "كلمتك تقطعنى بأبى ان كنت اخفيت عنك حجج بستان أولئك الأطفال الأيتام" فرد عليه البابا بغضب قايلا: "من فيك يكون لك كما قلت" وهكذا لم يصل هذا الشماس إلى بيته حتى وقع ميتا ووجدوا ما أخفاه من الحجج فى جوانب بيته لأنه لم يكن يحكم بالظواهر التى تحكم بها الناس بل كان يحكم بإلهام وارشاد الروح القدس الحال عليه لأنه لم يكن يبتدىء فى محاكمته بشئ قبل أن يدعوا الحاضرين للمحاكمة أن يصلوا معه قايلين: "يا أبانا الذى فى السموات أى الصلاة الربانية" (فوه ص 171 وكتاب 15 تاريخ ص 281).

16- نصايح وأحكام البابا متأؤس بارشاد الروح القدس الحال فيه

وأما مكاتباته فكان يكتب فيها بعد ذكر الثالوث الأقدس ما يأتي: "الخلاص للرب" مشيراً بذلك إلى أن المسيح إلهنا الحي هو الذي ينطق على فمه بما فيه الخلاص لعبيده (فوه ص 171 وكتاب 15 تاريخ ص 281 "أ").

ولذلك صارت كل محاكمته يتعذر على الملوك والحكام الفصل فيها يرسلونها إلى البابا متاؤس فتحل لوقتها بأسهل طريق لتحقيق العدل لأن هذه الأحكام كان يصدرها قداسته بالوحي الإلهي حتى ذاعت شهرته في جميع الاصقاع حتى تعدت حدود الاقطار المصرية وسرت في الخارج وسمعت بها الملوك الذين كانوا يقدمون له الهدايا الثمينة فكان ملوك الفرنج يعتقدون في طهارته ويعترفون بقداسته ويلتمسون بركته.

وكذلك كان جماعة الروم يتقون في قداسته لكثرة ما عاينوه من محبة هذا الأب القديس لهم وما لمسوه بأيديهم وعقولهم من سلامة في أحكامه التي كان يفصل فيها بينهم بكل انصاف وعدل. وكانوا عندما يلمسون منه هذه العدالة والسلامة والمحبة والانصاف في أحكامه وارشاده يمجدون الله قايلين: "بالحقيقة كما سمعنا كذلك رأينا" (فوه ص 171 وكتاب 15 تاريخ ص 281 "أ" و 282).

زيارة البابا متاؤس الأول البطريرك 87

لدير القديس العظيم انطونيوس

ولما كان الملك برقوق يحترم البابا متاؤس ويحبه ويعتقد في صلاحه وبركته فانه لم يشأ أن يجلس على سرير الملك قبل أن يستشير البابا متاؤس صديقه ويسأله الرأي في قبول الملك. فلبى البابا نداء الملك برقوق واستعد للقيام بزيارة دير القديس انطونيوس في البرية لأخذ رأى شيوخه القديسين فيما يطلبه برقوق.

وبينما كان سيادة البابا متاؤس قادمًا إلى دير القديس أنطونيوس فقد سبقه إلى الدير الراهب يعقوب القليوبي من دير شهران وحضر إلى الشيخ القديس مرقس الأنطواني وصار يسأله أن يمنحه طرس بركة إلى ابينا البطريرك ليطيب قلبه عليه حتى يزيل أثر غضبه منه. فلما ازداد في الالاح على الشيخ بهذا الطلب وكان بجانب الشيخ مرقس قربانة فاخذها ودفعها لذلك الراهب وقال له: "كم من مرة تقول لي اعطيني اشارة لمتى هو ذا متى هوذا متى" وهكذا لم يفرغ القديس مرقس الشيخ الكبير من كلامه حتى اجتمع الرهبان اليه وأخبروه ان البابا متاؤس قد حضر من مصر. فلما سمع الراهب هذا الخبر أخذته الدهشة مما حدث فتعجب.

ثم اجتمع الالباء القسوس والرهبان وخرجوا للقاء البابا متاؤس بالصلبان والأناجيل والمجامر والنواقيس والشموع وخرج الاب مرقس والقمص ابرام حاملين زعف النخل وأغصان الزيتون وهم يرتلون أمامه بفرح وتهليل.

وقد حضر في صحبة البابا متاؤس نحو ثمانين نفس من أقباط مصر وأقام البابا هناك إلى أن كرر كنيسة الثلاثة فتية بالبستان وعمل البصخة المقدسة وحصل فرح عظيم لم يسبق له مثيل.

وعند عودة البابا وانتهاء مهمته التي حضر اليها أخذ في السؤال من ابينا الطاهر القديس مرقس أن يذكره في صلواته حينئذ أجابه الشيخ القديس قائلاً: "اذهب يا أبانا ولا تخف ان الرب برحمته عليك قد جعل السماء امامك أرضا والارض سماء" وهكذا عاد إلى كرسيه بفرح واستقامت البيعة في أيامه (كتاب رقم 24 تاريخ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله ص 108 و109).

وقد حدثت هذه الزيارة حول سنة 1098ش (1382م) وعاد إلى القاهرة حاملاً اذن الشيوخ القديسين بجبل العظيم انطونيوس بان يقبل الملك برقوق الملك لأن الله قد اختاره ملكاً على هذه الديار المصرية (فوه ص 172 "أ").

فاقامه الله ملكاً على سلطنة مصر وقضى جميع حياته محافظاً على صداقة البابا ولم يسمع فيه سعاية كذبة فكثيراً ما سعى المعاندون لدى الملك فى هذا البابا فلم يسمع لسعائياتهم لأن الرب كان يحميه ويدفع عنه كل سوء (فوه ص 172"أ" وابن المقفع كتاب 15 تاريخ ص 284).

واشتهر أمر نزاهة القديس متاؤس فى أحكامه فى القضايا التى كانت ترفع أمامه ويفصل فيها بحكمته وعدله على أحسن حال حتى طرقت مسامع السلطان برقوق الملك الظاهر واعتقد بها بكل اخلاص فكان عندما يتعسر على هذا الملك العظيم الفصل فى القضايا الخاصة بخطف الأموال التى كان الشوايلة يدعون فيها أن الفرنج استولوا عليها منهم فى البحر المالح كان يستعين فى حلها بالبابا متاؤس لتعقد مسائلها وغموض حوادثها فكان هذا القديس بفضل روح الله الساكن فيه ورجحان عقله وحسن اخلاقه وطيب كلامه يحكم فيها بالعدل ويحل عقدها ويظهر الظالم من المظلوم (فوه ص 171 وكتاب 15 تاريخ ص 281 "أ").

17- تجديد عهد السلام بين مصر وملوك الحبشة

وكان من حسن سياسة السلطان برقوق انه عندما تولى الملك وجه همته نحو ملوك الأحباش وجدد معهم عهد السلام وحسن الجوار وكان ملك ملوك الحبشة وقتئذ الملك داود الأول الذى جلس على سرير المملكة سنة 1381م أى قبل جلوس السلطان برقوق على عرش السلطنة المصرية بسنة واحدة وذلك بعد ان قامت الثورة

ضد أخيه الملك "نوايا سريام ويدم أصغر" وعزلوه بعد أن حكم من سنة 1371م إلى سنة 1381م.
ولم تكن تعلم السلطنة المصرية بهذا الانقلاب (السخاوى ص 68 وشين ص 246 وكتاب 15 تاريخ ص 283 "أ").

فاشار الملك الظاهر برقوق على البابا متاؤس أن يكتب كتابا إلى ملك الحبشة. وكان البابا يعرف أن الملك "ويدم أصغر" هو الذى يجلس على عرش هذه المملكة. وكان البابا لا يحب هذا الملك لعدم استقامته وسوء تصرفه. فلما جلس ليكتب نطق الله على لسانه فعنون الكتاب باسم أخيه داود ولم يكتبه باسم ويدم أصغر المتولى قبله متنبئا بذلك على جلوس داود على كرسى المملكة بدل أخيه. فانكر عليه ذلك رسل الملك وامتنعوا عن حمل الكتاب لئلا يشعر الملك "ويدم أصغر" بهذا التغيير فى توجيه الرسالة الملكية المصرية اليه فيقتلهم. فالزمهم البابا بأخذ الكتاب كما هو ومضوا به إلى الحبشة. وقبل اقترابهم من الحدود علموا أن الملك ويدم أصغر عزله عساكره من كرسى المملكة لسوء تصرفاته وأقاموا أخاه داود مكانه. فتعجبت البيعة المصرية من حكمة البابا فى تصرفاته وايقنوا أنه كان مدفوعا إلى ذلك بوحي الهى ومجدوا الله.

ولما وصل الوفد المصرى إلى عاصمة البلاد الحبشية قدموا الرسالة البطيركية المتاؤسية بفرح عظيم لجلالة الملك داود. ولما فك الملك خاتم الرسالة وجد فيها أنها مكتوبة باسمه لا باسم أخيه الذى كان يعتلى كرسى المملكة وقت كتابتها فتعجب وأخذ يسأل الرسل عما إذا كان معهم صليب هذا البابا ومنديله وقد كان البابا أعطاهما لهم وكانوا محتفظين بهذه الوديعة المباركة إلى أن يفرغ الملك من قراءة الرسالة فيقدموها اليه. فازدادوا عجبا واخذوا يسألون

الملك عن كيفية علمه بهذه الوديعة. فقال لهم الملك: "ان البابا السيد البطريرك هو الذى أعلمنى بذلك قبل وصولكم وعندى شهود يشهدون بذلك" ثم دعا للوقت عساكره وجنوده واخته المباركة أيضا وأخذ يقص عليهم ما أبصره قايلا: "انى بالحقيقة أقول لكم يا أحبائى انه قبل أن يجلسونى ملكا على كرسى المملكة أبصرت هذا البابا فى الرؤيا وقد خلع أخى من على كرسى ملكه وأقامنى عوضا عنه وقال هكذا: "ينزع الله الملك ممن لا يسير بالاستقامة ويعطيه لمن يسير بالاستقامة" ثم من بعد ما تكلم بهذا التصريح وأجلسنى على كرسى المملكة أعطانى هذا الصليب بيدي ودعا لى ان الله يثبت كرسى مثل داودالنبى لأقضى بين الشعوب بالعدل وأحكم الأمم بالاستقامة ثم بعد ما اتم الدعاء لى باركنى وانصرف عنى فانتبهت من نومى وتعجبت من هذه الرؤيا وكنت أود أن أشرح لكم هذه الرؤيا فى وقتها ولكن المباركة اختى منعتنى من ذلك خشية من بطش الملك أخى لئلا يشعر بذلك فيقتلنى لساعتي ولهذا دعوت شقيقتى مع جميعكم لتشهد لكم بما سمعته منى من قبل".

ولما أخبر الملك داود بهذا التصريح الجلى أمام الجمع مجدوا الله المظهر عجائبه على يد قديسه البابا الجالس علىالكرسى المرقسى بالديار المصرية وهو ينظر بالروح ما سيحدث من الانقلاب فى اقاصى الحبشة وينطق بما سيكون من نتائج الانقلاب.

أما رسول ملك مصر فانه لما عاد بعد ذلك مع رجال بعثته إلى مصر وأعلم الملك بما حدث من البابا متاؤس تعجب أيضا لأنه كان هو أيضا يحبه ويجله وكذلك كان البابا يحترمه ويحبه وأقام الملك برقوق طول أيام ملكه محافظا على سيادة البابا ولم يعكر صفوة أيامه ولم يسمع

فيه سعاية كاذبة (فوه ص 172 وكتاب 15 تاريخ ص 283 و284).

18- هدايا الملوك للبابا متاؤس لتجديد المحبة والصلح والسلام على يديه

وقد ذاع خبر هذا البابا القديس وانتشرت أعماله الصالحة فى أركان العالم كما تجدد على يديه الصلح والسلام والمحبة حتى شهد له ملوك النصرانية قائلين: "ان مثل هذه الأعمال الصالحة لم نسمع بها قط" ولم ينقطع سيل الهدايا الكريمة من الوصول اليه.

ومن بين هذه الهدايا العظيمة ان الملك البار ملك الحبشة داود الأول لما سمع بعظم تقدير ملوك الأفرنج لهذا البطريك ومحبتهم له وكثرة هداياهم اليه قام بارسال هدايا ثمينة أعظم منها من بلاده إلى أحد ملوكهم قايلًا: "اننى ما أرسلت اليك هذه الهدايا لطلب هدايا مثلها بل لتقدم لى شيئًا من الاثار السيدية التى فى بلادكم" ولما وصلت تلك الهدايا لملك الفرنج فرح بها وأرسل له ما هو أجل وأعظم منها وهو انه قد كان عنده فى ذخايره المقدسة الثمينة قطعة خشب سنية من خشب الصليب المقدس الذى صلب عليه سيدنا المسيح فاخرجها للوقت ووضعها داخل صليب مجوف من الذهب المرصع بالفصوص الثمينة وأخرج معها جسد طفل من أجساد الأطفال الذين قتلهم هيرودس المنافق فى ذلك الزمان وجعلهم داخل صندوق من يصب ثم وضع معهم من الأوانى الذهب والفضة والحلل الفاخرة التى للملوك والكهنة ما لا يمكن وصفه وانه صور على احدى الحلل صورة هذا البابا متاؤس مصورة بالذهب اللامع.

ثم أرسل هذا الملك الهدايا إلى البابا متاؤس الاسكندرى لكى يقوم بتوصيلها إلى ملك الحبشة واستحلفه بان لا يرسلها حتى يقدر فى تلك البدلة الكهنوتية المصور عليها

صورته ويصلى عليها ويباركها من فمه الطاهر قبل تصديرها إلى الحبشة لأنه كان عنده أمانة عظيمة في بركة هذا البابا ولم يكن رآه من قبل ولا أبصره بل اعتمادا على ما كان يسمعه عن فضائله وكرامته وانه لعظم ايمانه بقداسة البابا سأله كثيراً حتى يعطيه قطعة من عمامته ليتبرك بها فارسل له ما طلب فكان يضع هذه البركة على المرضى الذين فى بلاده فيبيرأون.

وقد اجاب رجااء هذا الملك ولبس البدلة وقدس فيها أمام الجميع الذين دعاهم للتبرك من الاثارات السيديية وتعجب الحاضرون من معاينة جسد ذلك الطفل الشهيد الذى ظل حافظا لحسن شكله إلى اليوم دون أن ينحل منه أى عضو من أعضائه ولا أصابعه وسألوا البابا أن يترك لهم هذه الآثار المقدسة فى القلاية البطريركية أياما قلائل للتبارك منها فلم يفعل بل قام فى الساعة التى وصلت فيها هذه الهدايا الثمينة بارسالها إلى ملك الحبشة. وعندما وصلت هذه الذخاير المقسة إلى بلاد الحبشة استقبلها الملك بفرح عظيم وموكب احتفالى. ولما عاين ملك البلاد البار آثار سيدنا المسيح مع جسد ذلك الطفل الشهيد تعجب وكشف التاج عن رأسه وأقام نحو ساعة مطروحا ساجداً أمام تلك الآثار المقدسة التى لسيدنا المسيح ثم لما رفع رأسه ورأى البدلة الكهنوتية التى عليها صورة البابا متأؤس مصورة صار يتهلل ويفرح ويسجد ويمجد الله الذى جعله مستحقاً أن يرى صورة هذا البابا القديس فى بلاده قبل انتقاله من هذا العالم. لأن هذا الملك المبارك كان يشناق دائماً أن يرى صورة هذا البابا للنبوة التى تنبأ له بها عن توليه عرش الملك موضع أخيه. (فوه 171 وكتاب 15 تاريخ 282 و 283).

19- جلم البابا متاؤس وصفحه عن خصومه وانتصاره عليهم

وقام راهبان منجوسان ضد البابا لطلبهما الكهنوت باطلا فسعيا ضده عند الملك برقوق ولما لم يسمع الملك لشكواهما سعيا به أيضا عند كل حاكم بمصر. وكان كل حاكم يمضيان اليه يتكلمان فى حق البابا بما يخالف ما ادعيا عليه به عند الحاكم الآخر. ولما تحقق لدى الحكام كذبهما وضجروا من أعمالهما قصدوا أن يعاقبوهما ويلقوهما فى السجن ولكن رافة البابا متاؤس وطول اناته لم تمكن أولئك الحكام من اىصال الأذى لهذين الراهبين وظل يحتملها بصبر وبطول رحمة عليهما فلم يرجعا عن شرهما لأن الشيطان ملأ قلبيهما فهجما ذات يوم على قداسة البابا وهو متربع فى مجلس الحكم وقال له: "مالك لا تقوم وتتحط عن كرسيك لأنه جاء الوقت الذى يصير فيه الواحد منا بطيركا والآخر اسقفا" فلما سمع كلامهما تبسم ولم يشتد غضبا بل أجابهما بكل اتضاع قايلًا: "أما تريان ياهذان أن تصبرا علىّ قليلا وأنا أضرب لكما مطانية أن تمهلانى أربعين يوما فقط حتى اتخلص من شؤون البطريركية وودائع الشعب التى معى. وبعد كمال الاربعين يوما تعالا الىّ وأنا اسلم لكما كرسى البطريركية بلا مانع يعيقنى".

ولما قال لهذين الراهبين هذا الكلام فرحا جداً ومع فرجهما لم يدعهما البابا يمضيان حتى قدس وناولهما من الأسرار المقدسة. ثم بعد التناول تركاه ومضيا إلى أحد الأديرة لكى يقيما فيه مدة الأربعين يوما التى عددها لهما البابا. ولم يمضى عليهما ثلاثون يوما حتى أخذهما الرب وماتا واحداً بعد الآخر بقوة الصلاة التى لهذا البابا القديس فانه من فرط شففته بهذين الراهبين لم يحقد على شرورهما

بل ناولهما من السراير المقدسة قبل موتهما (كتاب 15 تاريخ 284 و 285 وفوه 172"أ" و 173).

وخرج راهب سريانى يدعى ابراهيم خرج عن الايمان القويم أمام الملك ثم اندمج فى سلك الجندية وبعد ذلك أخذ يتكلم فى حق البابا متاؤس ويتحدث عن الرهبان المجروحين الذين خرجوا عن الايمان ثم عادوا تائبين إلى البرية، بوشايات صعبة وكذبة. ثم أخذ بعض الجند وطلع اليهم بالبرية وقبض على جماعة من الرهبان واوثقهم وحملهم إلى مصر وكان يظن انه يجد أحد من أولئك المجروحين فلم يجد منهم سوى راهب واحد أحضره أيضا موثقا صحبة الرهبان إلى مصر حيث نال المجروح اكليل الشهادة. وأما الراهب الجندى الذى انكر مسيحيته فلم يبرح عن معاندة البابا متاؤس وصار يقاومه إلى أن ضجر الشعب منه وسألوا البابا أن يدعى عليه ويلعنه فلم يوافقهم وقال لهم: "يا أولادى لا تدعوا عليه بل انى ادعوا له كى يرده الله إلى حظيرة الايمان ويهبه اكليل الشهادة مثل اخوته". ولم يمض على ذلك زمن حتى أبدل الله شرور هذا الراهب وغير ما فى قلبه فاطهر ندما حقيقيا على ما فرط منه ثم مضى لساعته واعترف بالمسيح أمام الملك بعد أن انكره أمامه ونال اكليل الشهادة مثل اخوته كما دعا له البابا وتعجب كل واحد من قوة احتماله لهذه الشرور وعدم مقابلتها بأشر منها لانه كم من الشرور وقعت من المعاندين على هذا البابا القديس وهو يحتملها بصبر وطول أناة إلى أن يخلصه الله منها بسلام. (فوه 173 وكتاب 15 ص 285).

20- فشل سعى العامة لهدم كنيسة العذراء بالمعلقة بمصر ونجاتها

خرج البابا القديس متاؤس الأول من القاهرة قاصداً الأديرة البحرية بيرية شيهات للاعتكاف والصلاة فلما سمع جماعة من المعاندين بتغيبه لأنهم كانوا يخشون بأسه أثناء وجوده بالقاهرة لرابطة المحبة والاخلاص التي تربطه بالسلطان برقوق أغتموا فرصة غيابه وسعوا للقيام بهدم كنيسة السيدة العذراء والدة الاله بالمعلقة فلم يمكنهم السلطان من ذلك بل الهتمه العناية الالهية إلى الاستعانة بالقضاة الاربعة فى أمر الكشف عن تلك البيعة المقدسة فلم يجدوا شيئاً مما إدعى به المعاندون فى طلبهم فانقهروا على كشف مؤامراتهم الدنيئة وامتلاؤا غيظاً من فساد تدبيرهم السيئ فلم يتمالكوا نفوسهم من شدة غيظهم فاخذوا جفنة نار واطلقوها تحت اساسات تلك البيعة يريدون حرقها بكمالها لكن الله عز وجل الذى سمع للفتية الثلاثة صلاتهم فى أتون النار وأطفأ لهيبها عنهم ونجاهم فببركة الراعى الصالح متاؤس لم يدع النار تصعد إلى علو البيعة. وبينما كان تلاميذ البابا متاؤس يطفئون النار من اسفل أرسل لهم رب السلام الحارس على بيعته المقدسة ندى بارداً بكثرة من فوق حتى أطفأ لهيب النار المتقدة حتى تعجب الحاضرون من هذه العناية الربانية ومجدوا الله على حسن صنيعه معهم. (كتاب 15 تاريخ ص 286 وفوه ص 173).

21- فشل مؤامرة المعاندين فى أمر هدم دير شهران ثم أراد بعض المعاندين أن يقوموا على دير شهران ويهدموه فقدموا إلى الملك برقوق عريضة يتهمون فيها رهبان الدير بادعاءات باطلة حتى أذن لهم بهدمه. فلما اجتمعوا لتنفيذ غرضهم السيئ لم يمكنهم البابا متاؤس من ذلك لأنه اجتمع فى ذلك اليوم خلق كثير لا يحصى لهم عدد وظنوا انه لكثرتهم يخشى البابا بأسهم ويخاف من شرهم ويسلم لهم الدير ليهدموه. ولكن رجل الله الذى يستمد

من العلى كل معونة لم يخف منهم وصار يناصبهم ويقاومهم إلى أن قال لهم محتداً: "من منكم أيها الناس له يد وسلطان فليجرد سيفه ويقتلني لأنى مادمت حيا لا أمكنكم من أن تهدموا طوبة من بناء هذا الدير إلا أن أقف أنا وأنتم أمام السلطان وأظهر له باطل ما ادعيتم به على رهبان الدير زوراً وبهتاناً من الأباطيل التى لا أساس لها من الحقيقة". وبعد أن تكلم معهم بهذه الصفة تركهم البابا ومضى إلى القلعة واستغاث بقوة السلطان برقوق ملك مصر. ولما وصل صوت صراخه إلى مسامع الملك أرسل للوقت للكشف عن حقيقة ما نسب لرهبان الدير المذكور فلما مضى القضاة الأربعة إلى دير شهران وكشفوا عليه فلم يجدوا أثراً بالمرة مما ادعى به المعاكسون ومنعوا من الاعتداء على مباني الدير فهرب أولئك الشاكون واختفوا من غضب الملك برقوق لئلا يبطش بهم لكذبهم فيما ادعوه (كتاب 15 تاريخ ص 286 وفوه 173 "أ").

22- خلع السلطان برقوق ونفيه إلى الكرك

ظهر فى شمال سوريا فى سنة 1389م استيلاء عام من السلطان برقوق واشتدت وطأته بتدبير الأمير منطاش حاكم ملطيه والأمير يلغا السالمى حاكم حلب. وقد استعان هذان الأميران بالمنغول والتركماني فى الحدود الشمالية للمملكة المصرية من جهة الشام التى كانت تابعة لحكم مصر. وتمكن الثوار من هزيمة الجيش المصرى بالقرب من دمشق فى 17 أبريل سنة 1389م واستولوا عليها ودخلوها ثم اتجهوا إلى مصر. وفى هذا الوقت استولى على السلطان برقوق الهلع من سوء الحالة التى وصل إليها حتى فقد وعيه. وبعد أن الغى المكوس سلح عامة الشعب وأقام المتاريس فى الشوارع وحفر الخنادق حول القلعة وتفجرت دموعه من شدة اليأس واختبأ فى دكان خياط.

فدخل الثوار وعلى رأسهم الأميران منطاش ويبلغا السالمي القاهرة واعادوا الصبي حجي بن شعبان السلطان المخلوع ملكا بالاسم مكان برقوق (تاريخ مصر فى العصور الوسطى تأليف لين بول ص 330).

وقد حزن الشعب كله على انكسار الملك برقوق فقال لهم الأب رويس: "لا تحزنوا فغدا سيخرج الملك برقوق من منفاه وينتصر على عدوه منطاش" (سيرة القديس رويس المحفوظة فى دير).

23- اضطهاد الأميرين منطاش ويبلغا للبابا متاؤس ولما انتصر منطاش ويبلغا على السلطان برقوق كما تقدم ذكره وليا مكانه السلطان حجي بن شعبان آخر ملوك المماليك البحرية. وكان ملكا بالاسم اذ حفظا لشخصيهما السلطة الفعلية فى المملكة (لين بول ص 330).

وقام أحد المعاندين للبابا متاؤس الأول ووشى به عند الأمير منطاش بأن تحت يد البابا أموالا وذخاير أودعها عنده السلطان برقوق قبل خروجه من مصر ونفيه فى قلعة الكرك. فطلب الأمير البابا متاؤس وعصره فلم يجد تحت يده شيئا بالكلية من أموال السلطان فندم الأمير على ما أوقعه من عقاب على البطريك وأطلق سراحه. ولكن الله لم يترك له هذا الظلم البين حتى نال جزاءه بالميتة الشنيعة التى أعدها له السلطان برقوق عندما استرد كرسى المملكة كما سيأتى بيانه (كتاب 15 تاريخ ص 285 وفوه ص 173 "أ").

وقد تسلط الامير يلبغا أيضا على قداسة البابا متاؤس وقصد أن يحدث على الشعب حوادث عديدة رديئة وعادات

صعبة فلم يوافقها البابا على ذلك وقاومه. فجرد ذلك الأمير الفاجر سيفه بغضب يريد أن يضرب رقبتة وللوقت مد البطريرك عنقه للسيف وسأله أن يضربه. فلما رأى الأمير شجاعته وقوة قلبه وسموده على الحق هلع منه وأطلقه ولكن الله جازاه على قبح تصرفاته إذ أسلمه إلى يدي الملك الذي كان أقامه والياً وضربه وعصره وأرسله إلى الجب في مدينة الاسكندرية. وكان الشعب كلما خشى عودته كان يطمئنهم البابا قايلاً: "لا تخشوا يا أولادى شراً ولا تخافوا البتة ولا تظنوا ان ذلك الأمير سيعود إلى مصر لأنى وكلت بسجنه الاربعة حيوانات حاملى العرش الالهى. ولم يبرح ذلك الأمير مسجوناً فى الاسكندرية إلى أن مات شر ميت. وان الشعب تعجب وأعطى المجد لله سبحانه وتعالى وقدم له الشكر على خلاصه من أيدي اعدائه سالماً (كتاب 15 تاريخ ص 285 "أ" و 286 وفوه 173 "أ").

24- عودة السلطان برقوق إلى الحكم

وفى سنة 1389 ميلادي وقع الخلاف فى صفوف الامراء وتراشق الأميران منطاش ويلبغا السالمى من سطح جامع السلطان حسن وأسوار القلعة بآلات القتال فمهدا بذلك السبيل للثورة التى أعدها فى الشام السلطان برقوق المخلوع لأنه تمكن من الهرب من سجنه فى قلعة الكرك وجمع الجيوش القوية وحارب بهم الثائرين فقهروهم وانتصر عليهم فى سوخذ وأسر السلطان الصالح حجبى الخليفة العباسى ودخل القاهرة ظافراً فى 4 صفر 792 هـ الموافق 22 يناير سنة 1390م. فاحسنت رجال الحاميات استقباله وابتهج الشعب بعودته وخرج اليه الاسرائيليون بمصاحفهم والمسيحيون بأناجيلهم وأضيئت الشموع وفرشت الالبسة تشرifa له واطهارا لسرورهم.

وقام السلطان برقوق بالقبض على السلطان حجي وسجنه في القلعة وسمح له أن يعيش فيها إلى أن مات في سنة 1414م (لين بول ص 330 و331). وقد تحققت نبوة القديس رويس التي أعلنها عند نفي الملك برقوق.

25- القضاء على ثورة الشام واسر الأمير منطاش قضى السلطان برقوق مدة السنتين التاليتين في محاربة الثوار الذين يقودهم الأمير منطاش في سوريا حتى قضى عليهم واسر خصمه الأمير منطاش ثم قام بتعذيبه مر العذاب لينتزع منه سر مكان ثروته المخبوءة ولكنه لم يفز منه بطايل وأخيراً قطع رأسه وشهرها فوق حربة وأمر أن يطاف بها في جميع مدن الشام وأخيراً علقها على باب زويله بالقاهرة ثم نكل بباقي المتآمرين عليه وسحبوهم في سروج الجمال وطافوا بهم في شوارع المدينة حتى فارقوا الحياة (تاريخ مصر في العصور الوسطى تأليف لين بول ص 126).

26- قيام تيمور لنك بغزو الشرق وما كاد السلطان برقوق يتم حملته بنجاح حتى ظهرت بوادر غزو تيمورلنك المنغولي في افق الشرق فاستولى على بغداد في أغسطس سن 1393م وانحدر إلى الشام حتى أصبح يهدد السلطنة المصرية بالغزو. فقد جاء إلى السلطان برقوق رسل من قبل تيمورلنك يطلبون منه تسليمهم قرا يوسف أمير الدولة المادية الذي التجأ إلى حماية برقوق هرباً من بطش تيمورلنك وكان طلبهم بطريقة فظة فقتلهم برقوق لشدة غضبه من غلاظة معاملتهم. ولما بلغ الخبر إلى تيمورلنك استشاط غضباً وساق جيشه قاصداً مصر للانتقام. ولكن السلطان برقوق لم يغفل عن ذلك وتأهب للدفاع والهجوم وسار الجيش المصرى

حتى الفرات ولكن تيمورلنك اشتبك في القتال كلية مع طوقتمش في جورجيا (لين بول ص 332).

27- وفاة السلطان برقوق وقيام ابنه السلطان فرج ولم يكد يتم السلطان برقوق استعداده لملاقاة خصمه تيمورلنك حتى ادركته الوفاة بداء الصرع في يوم الجمعة 15 شوال سنة 801هـ (20 يونيو سنة 1399م) فأسف عليه الناس أسفا شديداً لعدالة حكمه وبقظته ورفقته برعيته. (وحزن على موته القديس متاؤس الأول البطريك لأنه كان صديقاً حميماً له وكان يقضى له حوائجه ويرفق بشعبه ويقيم العدل بين الجميع دون النظر إلى الفارق الديني). وتولى بعده ابنه السلطان فرج ولقب بالملك الناصر وكانت امه يونانية الجنس (لين بول ص 333).

28- خلاص البابا متاؤس من الاضطهاد والسجن الذي

وقع فيهما

بعد موت السلطان برقوق

وعندما استولى تيمورلنك على الشام سافر السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق لمحارته واناب عنه في حكم مصر الأمير يلبغا السالمي. ولما خلا الجو لهذا الأمير. أوقع على المصريين ظلماً كثيراً حتى أنه أمر بحصر كل أبوابهم: أبواب المنازل والحوانيت والطواحين والافران والبساتين والسواقي والكروم وقدّر عليها ضرايب باهظة.

وقبض على البابا البطريك متاؤس الأول وسجنه وأحضر نساء النصارى واليهود وألبسهم ملابس زرقاء وصفراء أمام البطريك. ولكن البابا قاومه فغضب ذلك الأمير عليه واستل سيفه وشرع يضرب رقبة البابا. فمد البطريك رقبتة إليه وسأله أن يقتله. فرجع الأمير عن عزمه وانداهش لشجاعة البابا وأراد أن يطلق سراحه. ولكن

البابا رفض ذلك إلا إذا اطلق أبنائه المسجونين بدون ذنب أو جريرة.

وأتى أحد تلاميذ القديس فريج اليه فوجده ملقى على الأرض لا يتكلم فقال له: "ألا تعلم ان الأمير قبض على أبينا البطريرك وسجنه وكاد يقتله. فلماذا لم تحرك ساكنا؟". فرفع القديس فريج وجهه وأصابه إلى السماء وقال لتلميذه: "انظر إلى فوق فان سيدتنا العذراء ستخلصه" ولما سمع التلميذ هذا الكلام من سيده ومعلمه اندهش من اطمئنانه وثباته.

وأخذت التلميذ سنة من النوم ورأى فى نومه صليبا من النور فى كبد السماء وخرجت منه يمامة حسنة المنظر وقد بسطت جناحيها على رأس البابا البطريرك. ثم سمع أثناء ذلك القديس فريج يخاطب البطريرك قائلا: "متى: متى لا يخف قلبك. لأن الحمامة الحسنة التى تحبها (مشيراً بذلك إلى السيدة الطاهرة مريم والدة الاله حامية البابا متاؤس) قد خرجت اليوم لخلصك وستهلك عدوك". وعند ذلك استيفظ التلميذ من نومه وتوجه إلى البابا البطريرك فى السجن وقص عليه هذه الرؤيا.

وفى تلك الاثناء هجم أحد امراء مصر على السجن وكسر ابوابه الحديدية وأخرج البابا متاؤس البطريرك القديس ومن معه من المسجونين من السجن وهزم الامير يلبغا السالمى.

وفى ذلك الأسبوع حضر السلطان الناصر فرج بن برقوق. ولما علم بما فعله الامير يلبغا من الاعمال الوحشية قام بمطاردته من مكان إلى آخر حتى تمكن أخيراً من القبض عليه. وسجنه وأوقع عليه عقوبات الجلد والضرب حتى مات شرمية. وهكذا تمت نبوة القديس فريج بحذافيرها وانتقم الله للقديس متاؤس وأبنائه المظلومين

من الجبار يلبغا سريعاً ونال جزاءه على ما اقترفته يديه الأثمة. (نقلا عن المخطوط المحفوظ بكنيسة العذراء بالخدق).

29- قيام الامراء باضطهاد البابا متاؤس الأول وفشلهم

فى أيام السلطان الناصر فرج

الحادث الأول:

وبعد انتقال السلطان برقوق من هذا العالم قام الامير سودون من امراء المماليك على المسيحيين وشن الغارة عليهم بوطأة شديدة فدبر ذات مرة مع المعاندين كميناً صعباً واتفقوا جميعاً على رمى المسيحيين فى ذلك الكمين. فلما كشف الرب للبابا متاؤس أمر هذه المكيدة قام لساعته وخرج خفية من قلايته ومضى إلى بيعة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين وحبس ذاته فيها مدة سبعة أيام وسبع ليالى وهو مداوم على الصلاة بلا انقطاع سائلاً المولى تعالى أن يخلص شعبه من هذه المكيدة فرأى فى الرؤيا السيدة العذراء مريم تحدثه قائلة له: "ان الله قبل طلبته فى خلاص الشعب وأبطل مؤامرة المعاندين السيئة" حيث ابتهج قلب هذا الاب وفرح فرحاً عظيماً وخرج فى اليوم السابع مثل ملاك الله. وبتدبير من الله تعالى أرسل الامير سودون يطلب حضور البطريك عنده فى ذلك اليوم وصار يخاطبه بما اضمره للشعب من الحوادث الرديئة الصعبة ومن جملتها انه أراد أن يلبس النسوة الازارات الزرقاء وغير ذلك. فامتلاً البابا من روح الله وقال له "مَنْ من الامراء الذين تقدموك فعلوا هكذا مع الرعية؟ أو مَنِ من البطارقة رضى أن يشهر بنات شعبه ويجعلهن عاراً أو اضحوكه لصغار عوام الناس؟ ولكن الحق أقول لك أيها الأمير انك متى اشهرت بواحدة من بنات شعبي أنا لا أبرح أن أطلق الخراب والتشهير فى بلادكم من أطراف الحبشة إلى

أقاصى مصر. وأنا اخبرك أيها الأمير ان النصارى ليسوا بغير ملوك الأرض ولا سلاطين مسيحيين ينظرون فى تسلطكم عليهم" فامتلاً الأمير خوفاً وأطلق سراح الأب ولم يعد يخاطبه بشئ حتى تعجب الشعب من شجاعة البابا البطريرك وقوة اقدامه وسداد اجابته وقدموا الشكر لله تعالى على خلاصهم من هذه التجارب والمحن بشفاعه القديسه العذراء مريم والدة الاله معينه المتجئين اليها فكانت تساعد البابا فى كل أعماله الطيبة كما شهد له بذلك القديس رويس (كتاب 15 تاريخ 286 "أ" و 287 وفوه 173 و 174).

ومن عادة هذا البابا القديس انه كان لا يقدم على عمل أى شئ أو يتحرك فى شئ حتى يقف أمام ايقونة سيدتنا القديسه مريم العذراء والدة الاله ويسألها فيه وكانت تظهر له وتخاطبه من الأيقونة المقدسه كما قرر ذلك حقا القديس الطاهر رويس الذى كان يلازمه فى قلايته عندما سأله الشعب ذات يوم أن يذكرهم فاجابهم قايلا: "من أكون أنا يا أولادى حتى تسألونى أن أذكركم بل اسألوا أبانا القديس البطريرك الذى تظهر له سيدة البشر وتخاطبه من أيقونتها الطاهرة وتخبره بأسرار عجيبة وتساعده فى كل اموره فاسألوه هو أن يذكركم فى صلواته" فتعجب السامعون من كلام القديس رويس الذى شهادته هى حق ومجدوا الله الرؤوف بعباده. (كتاب 15 تاريخ ص 287 "أ" وفوه 174).

الحادث الثانى:

وفى دفعة تكلم أحد الامراء مع الملك والقضاة أن لا يبقوا نصرانيا على الأرض فى مصر. فقام البابا متاؤس البطريرك وصلى مستنجدا بشفاعه الشهيد القديس مارجرجس قائلا: "أسألك يا شهيد الله يامارجرجس ان تنتقم

من هذا الأمير . ولم يتم البابا توسلاته حتى انتقم الله منه لشناعة مكيدته فقدم له أعوانه كأساً مملوءة سما قاتلاً فشربها وهو لا يعلم بما دبروه له بمكر وحيطة ومات لساعته ميتة شنيعة وانتقم الله منه لسوء تدبيره ضد شعب الله الوديع (كتاب 15 تاريخ ص 291 وفوه ص 176).

الحادث الثالث:

وفي دفعة ثالثة اشتد غضب البابا متاؤس على أمير آخر من أمراء مصر يسمى أوزيك لفضاعة اعماله فاقام ستة أيام وست ليالى مداوما على الصلاة متوسلاً بشفاعته رئيس الملائكة ميخائيل الطاهر ليخلص الشعب من نيره فلما انتهى اليوم السادس ولم يسمع عن ذلك الأمير خيراً أرسل أحد تلاميذه ليستطلع أخباره. فوجد التلميذ تابوت ذلك الأمير على باب داره والناس يستغيثون قائلين: "ان هذا الأمير له ستة أيام معذبا من طعنة فى جنبه إلى أن مات فى هذا اليوم". فطار التلميذ راكدا نحو معلمه واطلعه على جليلة الامر فتعجب البابا وأعطى المجد لله سبحانه وتعالى والشكر لرئيس الملائكة ميخائيل الذى لم يخيب رجاءه للخلاص من هذا الأمير الظالم (كتاب 15 تاريخ ص 291 فوه ص 176).

30- مواهب الشفاء التى منحها الله للبابا متاؤس الأول

واقامة الموتى

الحادثة الأولى: شفاء صبية من روح نجس

انت إلى البابا متاؤس صبية شابة اعترها روح نجس يعذبها فى كل حين فلما رأى الروح النجس قيام البابا ليصلى امام أيقونة القديسة مريم العذراء فر هاراباً ولم يستطع أن يدخل مع الصبية لكنه وقف خارج الباب ولم ينظره احد من الحاضرين لكن احد قسوس الصعيد أخبر رجال البابا بهذا الامر لان ذلك القس كان له موهبة رؤية

المناظر الشيطانية مكشوفة أمامه. ولما شاهد هذا القس الروح النجس واقفاً بالباب استعلم منه عن سبب وقوفه فأعلمه أنه واقف هنا خوفاً من البابا البطريك. فتعجب القس من ذلك ولم يصدق هذا القول حتى دخل وسأل قداسة البابا عن أمر الصبية فتعجب كثيراً وقال للقس: "عرفني أيها القس من الذي أعلمك بأمر الصبية التي لم يعلم أحداً بحضورها عندي" فقال له القس: "اغفر لي يا أبى لأنى رأيت الروح النجس الساكن فى هذه الصبية واقفاً خارج الباب وهو الذى أعلمنى بذلك ولكنه لم يقف بل انصرف لساعته خشية أن اعلم قداستكم به فتحرقه صلاتكم القوية من على الأرض".

ولما أتم القس حديثه أمام البابا البطريك تعجب كما تعجب كل من كان حاضراً أكثر منه لعظم الآيات والعجايب التي كانت السيدة العذراء تتمها على أيدي هذا البابا القديس ليس فقط فيمن يقدم إليه بل وأيضاً فى الغائبين عنه. (كتاب 15 ص 287 "أ" وفوه ص 174 "أ").
الحادثة الثانية: شفاء صبي من روح نجس

وأيضاً كان صبي من ضواحي البلاد القبلية لمصر اعتراه روح نجس وكان اهله كلما أرادوا حمله لاحتضاره إلى عند البابا كان الروح يقلقه ويعذبه ولا يمكنهم من الدنو منه ولكن رحمة الله تعالى ألهمتهم أن يتقدموا إلى البابا يأخذوا منه ورقة بركة مكتوبة بخط هذا البابا ووضعها على الصبي فيشفى وبإيمان صادق حضروا عند البابا وأعطاهم ما يطلبون فلما أحضروها ووضعوها على الصبي برئ في الحال وتعجب أهل البلدة لهذا الحادث الجليل ومجدوا الله وصار من ذاك الحين يضعون على كل من اعتراه روح نجس ورقة البركة هذه المكتوبة بخط هذا البابا القديس فيبراً

في الحال. (فوهه 174 "أ" و 175 وكتاب 15 تاريخ 87 "أ" و 288).

الحادثة الثالثة: اقامة فاعل من موت محقق

كان انسان فاعل يعمل في عمارة قايمة في بيعة السيدة العذراء بحارة زويلة فسقط هذا الفاعل اثناء العمل من فوق السقالة على الأرض فحمل ميتا لأنه كان حاملا حجرا ثقيلًا فلما وقع نزل على جسده ذلك الحجر طبق اضلاعه وقصد رفقائه أن يدعوه مكانه ويهربوا فلما سمع هذا البابا بالحادث حيث كان يقيم وقتئذ في هذه البيعة لم يمكّن رفقاء العامل الهرب وقام عليهم قايلًا: "اسكتوا ولا تقولوا ان الفاعل قد مات لأنه لم يميت وانا اضمن لكم من مراحم السيد المسيح انه حي" فحمله أربعة ووضعوه كأمر البابا أمام أيقونة السيدة العذراء مريم صاحبة البيعة ثم غطاه بوزرته نحو ثلاث ساعات من النهار إلى التاسعة وطلب قليلا من الماء الساخن وصلى عليه وغسل به أعضاء الفاعل الميت فكان كلما غسل عضو من أعضاء هذا الفاعل يتحرك العضو لساعته إلى أن قام حيا على قدميه بشفاعة صاحبة الشفاعات والدة الاله فلما نظر رفقاء الفاعل والحاضرون ما حصل الكرامة الفايقة والمعجزة العظيمة مجدوا الله.

وهكذا كان الأعلاء الكثيرون والمرضى العديدون اذا أدركهم نزع الموت والتجأ أقاربهم إلى بركة هذا البابا أقامهم بصلواته الزكية. كان إذا وضع وزرته على أحد المرضى ويذهب يسأل السيدة العذراء فيه ويعود ويكشف عنه الوزرة يجده قد تحرك ونهض من نزع الموت لساعته.

وكان أحيانا يسأل البابا الملاك ميخائيل بان يشفع في المريض فيشفى ويقوم في الحال صحيحا سالما.

وهكذا كان يصنع هذا البابا القديس في المرضى الذين يلجأون إلى صلاحه وتقواه فينالون الشفاء العاجل (كتاب 15 تاريخ ص 288 وفوه 175).

الحادثة الرابعة: اقامة فخر الدولة من الموت

حكى أحد كبار الاراخنة المدعو فخر الدولة انه في النزاع الاخير ولم يجد البابا حاضرا عند موته فلم يشعر حتى أبصر البابا في مجلس الرهبة والخوف وقت الدينونة عندما اختطف الملائكة روحه واقيم أمام كرسي السيد المسيح. ثم أبصر السيد المسيح يشير إلى الملائكة الموكلين به ان يشهروا كتاب خطاياهم ورأى كتاب خطاياهم وكان كل خطية ينساها ولا يذكرها بيكتونه عليها بلا رحمة ورأى هناك الخوف والفرع الشديد والنار المتقدة التي لا تطفأ حتى انه لعظم ما رأى وأبصر سقط لوقته مرعوبا وكان يطلب من يقيمه فلم يجد أحدا وبعد ذلك أتى البابا متاؤس وأقامه وسأل السيد المسيح بتوسل أن يعيد روحه اليه حتى يتوب عن خطاياهم التي صنعها فسمع السيد له المجد لنداء هذا البابا ولم يرد سؤاله قائلا: "قد سمعت لك في ذلك الانسان ووهبته اليك فعرفه من الآن أن لا يعود يخطئ لئلا يصيبه شر أكثر" وبعد ذلك ما شعر هذا الارخن إلا أنه تتبه من غيبوبته وفاق مما كان فيه ووجد روحه قد ردت اليه فحكى ما حصل وما رأى ومجد الله وتحقق من قوة صلاة هذا البابا. وبعد ما استيقظ من الغيبوبة بادر إلى طلب البابا من قلايته فلما حضر أعلمه بالنعمة التي أدركته من قبله فتعجب ومجد الخالق ولكنه أخذ يبكى على نفسه التي أشغلها الشيطان بالحكم عن خدمة المرضى وافتقاد الذين في النزاع الاخير ولذلك ظل البابا القديس لا يفتقر عن خدمة المرضى أمثال فخر الدولة والصلاة عليهم فيقيمهم له السيد المسيح حتى يعودوا

ويتوبوا عن خطاياهم لانه لم يكن عنده أفضل من خدمة المرضى وشفائهم وخدمة الذين يستوجبون حكم الموت على سرير وجعهم إلى أن يتتبعوا ويسأل المسيح في غفران خطاياهم.

وكان قد استه إذا وجد مريضا انف الناس منه يبذل نفسه دونه إلى أن يتتقى من جميع أوساخه ويشفى من أوجاعه. (كتاب 15 تاريخ ص 288 "أ" و 289 وفوه 175).

الحادثة الخامسة: عنايته ببواب أحد الأغنياء أثناء مرضه عبر هذا البابا القديس على باب منزل انسان من الاغنياء فوجد عند الباب عبدا لأصحاب المنزل ملقى مريضا قد جف وانتن من كثرة اوساخه ولم يجد من يعتنى به ويعالجه. فلما نظر البابا هذا العبد المسكين على هذه الحال لم ياتفت إلى اولئك الاغنياء اصحاب المنزل بل سارع للوقت واشتد بمنديل وغسل اوساخ العبد وفراشه وثيابه القذرة الملوثة من قذارته فضلا عن رايحته الكريهة الصادرة من نتانة جسمه فارتاحت نفس ذلك العبد واراد الموت في وجود هذا الأب للاستراحة من نتانة تلك الريحه التي يستنشقها كل يوم فاستجاب الرب طلبه. (كتاب 15 تاريخ ص 289 "أ" وفوه 175 "أ").

الحادثة السادسة: انتشاله جثة امرأة مقتولة ودفنها وفي أحد المرات عبر على بئر مُعِين مالحة الماء فوجد فيها امرأة مقتولة وقد جفت وفاحت نتانة رائحتها ولم ينهض احد من الناس لإنتشال جثتها ويعترف بها ويدنو منها فنزل عن دابته وتقدم إلى تلك البئر واصعد جثة تلك المرأة منه ولم يأنف من رايحتها بل قام بيده الطاهرة وغسلها وكفنها ودفنها (كتاب 15 تاريخ ص 289 "أ" فوه ص 175 "أ").

الحادثة السابعة: شفاء صبية من مرض عينيها
كان هذا البابا اذا قويت الامراض المزمنة فى احد ما
ولم ينهض له من يمكنه معالجته يقوم بنفسه بقوة صلواته
المقبولة عند الله ويعالجهم فيشفون فى الحال. وحدث ذات
مرة أن قدموا اليه صبية بكراً مصابة بقروح فى عينيها فلما
نظرها تحنن قلبه عليها وقال لأمها: "منذ الان لا تعودى إلى
معالجة ابنتك بالأكحال" وأشار اليها أن تضع فى عينيها
شيئاً من الادوية الحقيمة ففعلت وبرأت ابنتها فى الحال
وذلك كما فعل أبونا برسوما العريان وغيره اذ كانوا يداوون
الأمراض الصعبة بضعها من الأدوية ليعلم الجميع ان
الأمر من الله وان الاعتماد فيه يكون بالصلاة القوية التى
للقدسيين الابرار كما قال يعقوب الرسول: ان الصلاة
بايمان تخلص المريض والرب يقيمه وان كان عمل خطية
تغفر له. (كتاب 15 تاريخ ص 289"أ" وفوه 175"أ").

الحادثة الثامنة: شفاء امرأة مقعدة
قدموا للبابا متاؤس الأول امرأة مقعدة قد يبست أصابع
يديها ورجليها فامسكها بقوة ليفتح أصابع يديها فانشطت مع
ذلك اقفال اصابع رجليها ونهضت للوقت بسرعة قائمة
تمشى وتعجب الحاضرون لهذا الشفاء التام السريع ومجدوا
الله تعالى (كتاب 15 تاريخ ص 290 وفوه 175"أ").
الحادثة التاسعة:

قدموا إلى البابا فى دفعة انسانا ملسوعا من حية جرداء
وهو فى ألم شديد من تأثير اللسعة فاخذ البابا جرواً وشق
بطنه ووضع فيه رجل ذلك الملموس ثم استحضر قليلا من
اللبن وشحم الحنظل وأشار عليه أن يستعمله وظل يداوم
على استعماله قليلا قليلا ويتقيأه حتى قذف ذلك السم

جميعه وقام معافى لساعته (كتاب 15 تاريخ ص 290 وفوه ص 175"أ").

وهذا قليل من كثير الحالات التي قام البابا متاؤس الأول بقوة السيد المسيح وشفاعة والدته الطاهرة بشفائها بسرعة عجيبة حتى كان بابه مفتوحاً للمرضى وذوى الالوجاع فيخرجون من عنده مجبورى خاطر معافين من كل شئ اعتراهم.

31- قيام البابا متاؤس باعانة ذوى الضيقات وخلص الذين فى الشدة

واظهار السرقات ومرتكبيها والمخالفين

كان البابا متاؤس الأول يعاون الذين يقعون فى شدة من الشدايد التي كانت فحاخها منصوبة لشعب الله المختار فيسأل السيد المسيح اله الخلاص فى خلاصهم من شدايدهم فيخلصون ويمجدون الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة التي منحها للقديس الطاهر البطريرك المذكور نذكر هنا بعضها على سبيل التذكار.

الحادث الأول: خلاص ابن أحد الوزراء من شدة وقع فيها وقع شاب من أولاد الوزراء فى شدة قوية مع الملك برقوق بمصر والتجأوا لهذا البابا كي يعينهم على خلاصه ولعظم هذه الشدة كان البابا يستغيث بالشهيد تاودروس فى خلاصه قايلًا: "أنا أعلم يا شهيد الله إنك بشجاعة عظيمة خلصت أولاد الأرملة من فم ذلك التتين القاتل وأنا أربطك بالسلطان الذى أعطى لى من ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ابن الله الحى ولا أحلك من الرباط إلا إذا اسرعت وخلصت ذلك الانسان من الشدة الواقع فيها الآن" ولم يتم البابا كلامه هذا وطلب وساطة القديس تاودروس حتى خلص ذلك الانسان من تلك الشدة التي وقع فيها متعجبا لا يعلم كيف كان خلاصه فازداد تعجبه من الكرامة الوقار

الذين يكرم بها القديسون والشهداء هذا البابا (كتاب 15 تاريخ ص 290 وفوه ص 175"أ").

الحدّاث الثّاني: إظهار السرقات ومرتكبيها

وكان البابا متاؤس يفعل مثل ذلك مع كثيرين من الشهداء والقديسين فكان اذا فقدت أنية بيعة من البيع كان يربط بصلاته الشهيد ولا يحله حتى يظهر له من سرق أواني البيعة.

الحادث الثالث: اظهار سارق أواني بيعة القديس انبا شنودة بمصر

سرفت ذات مرة أواني بيعة القديس انبا شنودة بمصر فلما علم البابا بهذه السرقة حضر إلى البيعة وربط صورة القديس المذكور لم يحله حتى ارسل له من عرفه بالذى سرق اواني بيعته. وكان هذا السارق اعتاد سرقة اواني البيع فهاجم هذا البابا بيته وقام عليه وانتهره قايلا "كم لى من مرة وانا احتملك وانهاك عن العودة إلى السرقة من بيع الله المقدسة وانت لا ترجع عن سرقة أوانيها المقدسة ولا تكف عن السطو عليها. ولكن من الآن سيأتي عليك الانتقام القوى الذى لا يكون لك بعده حياة على الأرض بل تموت شر ميتة" وبعد كلام البابا هكذا لم يمكث هذا الانسان الا قليلا حتى وقع فى يدي متولى الحكم فى القاهرة باواني ذهب وفضة عدمت من بيته ولما تحقق انه تجاسر واقدام على سرقتها سمره لساعته وتم عليه قول هذا البابا شر ميتة جزاء ما جنت يده (كتاب 15 تاخ ص 290"أ" و 291 وفوه 176).

الحادث الرابع: مخالفة شماس للأوامر الكنسية وتوبته
اتى إلى البابا متاؤس شاب شماس وقال له: "يارجل الله ارحمنى فان شابا جنديا عبر اليوم علىّ وهو راكب فرس أبيض لم أر أحسن منه فضربنى ضربا وجيعا من غير

رحمة وذلك لاني اكلت في يوم الاربعاء والجمعة من باكر لاني كنت آكل في خفية ولم اعرف من هو الذي عرف ذلك الجندي بي وكان كلما يضربني يقول لي: "كيف تكون نصرانيا وشماسا وتأكل في يوم الابعاء والجمعة مبكراً ولهذا فان قلبي خايف منه". فقال له البابا: "لا تخف يا بني لأن الجندي الذي ضربك أنا اعرفه ولكن اذا مضيت بك اليه تتوب امامه عما اقترفته" فاجابه الشماس قايلًا: "نعم يا ابي اتوب" وللوقت اخذه واقامه امام أيقونة رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل. وكانت تلك الأيقونة تحوى صورة الملاك راكبا على فرس أبيض فلما تأملها الشماس خر ساجدا امامه وقال: "بالحقيقة يا ابي هذا هو ذلك الجندي الذي ضربني وأنا منذ الآن قد تبت امامه لاني شماس على بيعته المقدسة وقد افكرني وضربني لكي اترك ما أنا فيه من لهو واستهتار وسأقوم كما يجب بتأدية خدمته" ثم تاب من ذلك اليوم وهو يتعجب من صلاة هذا البابا ويستغرب امر وجوده مع الناس على الأرض ويشاهد المكتومات الخفية (كتاب 15 تاريخ ص 291"أ" و 292 وفوه 176).

الحادث الخامس: خلاص بعض أراخنة القاهرة من شدتهم وقعت شدة كبيرة على بعض من اعيان الاراخنة الموجودين بالقاهرة ولما عزموا الهرب عند البابا متاؤس والالتجاء إلى معونته وكان قداسته يقيم وقتئذ في مصر لم يبقوا على النهوض وادركهم الليل فناموا. وفي تلك الساعة أبصر أحدهم في حلم البابا متاؤس قايمًا أمام أيقونة الشهيد مارجرس يسأل في خلاص أولئك الاراخنة ويقرع الأيقونة بيده ويقول: "يا شهيد الله يا مارجرس اني لا أعرف خلاصهم إلا منك" فامال الشهيد رأسه من الأيقونة كمن يقول له نعم وكرر ذلك ثلاث مرات ثم حنى رأسه كمن يقول: "نعم نعم أنا اخلصهم". فلما نظر البابا ما كان من تواضع الشهيد

انطرح ساجداً على الأرض فعظم الأمر على الشهيد من سجوده له وخرج من الايقونة مثل فارس متجسد. فامسك باذيال البابا متأؤس وتبارك منه ثم ان البابا فعل بالمثل كذلك اعنى أخذ الواحد يتبارك من الآخر.

ولما انتبه هذا الارخن من نومه وقص تلك الرؤيا على رفاقه لم يصدقوه. وفي الصباح الباكر خرج الأمر من الله سبحانه وتعالى بشفاعة شهيد العظيم مارجرس بخلص أولئك الاراخنة وفعلا بعد برهة وصل اليهم ان الأمير عفا عنهم من غير سعى. ولما تحقق لهم أمر خلاصهم قاموا فى الحال ومضوا إلى البابا البطريرك يقدمون له الشكر على ما رأوه فى الرؤيا المتقدم ذكرها من غير أن يحضروا اليه ودون أن يسألوه فى ذلك بل كل ما صنعوه انهم اضمروا فى نفوسهم أمر الاستعانة بشفاعته لا غير وان البابا شعر بنيتهم وعمل على خلاصهم بدون سؤال منهم وتعجب جميعهم لهذا الحادث العظيم ومجدوا الله على خلاصهم ببركة قديسه متأؤس. (كتاب 15 تاريخ ص 292 و 293 وفوه ص 176 "أ" و 177).

الحادث السادس: ليس بالذهب يكون الخلاص
واتى إلى البابا متأؤس أحد الكتبة وهو مكروب فى شدة عظيمة وقدم اليه خمسمائة دينار قايلًا: "يارجل الله اقبل منى هذه الخمسمائة دينار وصلى لى لأن الملك برقوق يريد قتلى اليوم ولا أعلم كيف يكون خلاصى" فقال له البابا المكرم: "لا تخف يا هذا ولا تظن انه بالذهب الذى احضرته يكون خلاصك لأن الصلاة بالذهب ليس فيها خلاص بالكلية فان أردت أن تخلص أعد الذهب الذى أحضرته إلى مكانه والرب يخلصك من غير ذهب بالمرة" ثم قام البابا

وصلى عليه وباركه وارسله إلى الملك برقوق وأعطاه صليبه ومنذيله قال له: "احمل هذين حولك وادخل على الملك ولا تخف" فامتتع وخاف بالأكثر أن يحمل الصليب فتقع عليه الأفكار اذا شعر به أحد. فقال له البابا: "قلت لك احمل الصليب والمنديل من الداخل وقابل الملك وأنا أضمن لك باذن الله تعالى الذى تحمل صليبه خلاصك فلا يضرك الملك ولا يؤذيك بالمرّة".

فاطاع الكاتب كلام البابا وحمل المنديل والصليب ودخل بهما على الملك وكان مملوءاً من الغضب عليه ولكن فى تلك الساعة تبدل الحال وانقلب غضب الملك إلى اللين والرأفة وصارت كل كلمة يفوه بها هذا الكاتب أمام الملك تدخل فى اذن الملك مثل الندى البارد فتطفي ما عنده من الغضب جميعه فخرج الكاتب المذكور من عند الملك فرحاً متقوياً ومباشراً على عادته وتعجب من الصلاة القوية التى لهذا البابا والتى بدلت غضب الملك وحنقه وغيرت نيته على قتل الكاتب إلى محبة وحنو وعطف ورضا وكان كل من سمع بهذه الحادثة العجيبة يمجّد الله ويقدم له الشكر على رحمته بعباده وقبول صلاة قديسه الورع متاؤس البطريك (كتاب 15 ص 292"أ" و 293 وفوه 177).

32- كشف البابا متاؤس لخطايا شعبه وخفايا الامور وكان البابا متاؤس الأول يشتري نفس الآتين اليه ويخلصهم بصلاته القوية من الضوايق والشدايد والخطايا. وقد أخبر أحد أولاده الكهنة المعلمين انه كان قد وقع فى خطية صعبة مكتومة لما حضر أمام هذا البابا ليعترف بها عليه أخذه خوف واستحياء ولم يجسر أن يعترف بها أمامه فما كان من البابا إلا وكاشفه بها من تلقاء نفسه قايلًا "انت فعلت الخطية الفلانية فلا تعود إلى عملها مرة أخرى وأنا

أقول لك من الآن ان خطاياك غفرت لك" فلما سمع ذلك الكاهن تعجب ومجد الله على كشف البطيريك للأسرار الخفية لأن تلك الخطية ما كان يعلم بها إلا المسيح وحده ولما كاشفه بها ازداد تعجبه وتحقق له أن كل خطايا الشعب مكشوفة أمام هذا البابا الطاهر مثل زيت في زجاجة ولا يرى من الحكمة أن يشهر بها بل اذا أراد أن يبكت أحداً على خطيته كان ذلك في طريق الخفاء دون أن يشعر أحد بذلك. لان الخطية قد كثرت على الأرض وكان الكثيرون من الشعب قد اختلفوا وتتجسوا بنجاسات المصريين ولذلك كان هذا البابا يتهدد ويبكى على الشقاء الذى سيحل بالمصريين حتى انه من زايد بكائه أخذ ينذر شعبه قايلًا: "تيفظوا يا أولادى وتحذروا من ذلك اليوم الذى يأتى فيه الانتقام على المصريين لأن فى ذلك اليوم تنزل نار من السماء وتحرق كل مساكن المصريين حتى يعلو بخار تلك المدينة ويقومون من بعد ينوحون عليها قايلين: "اليوم سقطت بابل العظمى ام جميع المصريين" (كتاب 15 تاريخ ص 293 وفوه 177).

وكان هذا الأب الحنون والبابا القديس الطاهر كلما خاطب شعبه بهذا محذراً لهم كي يتجددوا ويتنقوا من أدران الخطية ولكنهم رغم هذه الانذارات المتعددة كانوا يزدادون طغيانا ووقاحة ولا يكثرن بمخافة الله فلم يسمعوا لانذاراته ولم يعملوا لخلاص نفوسهم. كان هذا البابا عندما يرى شعبه يزداد طغيانا يحزن كثيراً ويتهدد من عمق قلبه ويشتهى الموت لنفسه حتى أثار الشيطان على هذا الشعب الملتوى أميرا من امراء المملكة العظام يدعى الامير جمال الدين وكان يقوم بقتل الكثيرين من الناس وينهب أموالهم فطلب من الشعب المسيحي ما لا يقدرّون على القيام به وكان هذا البابا لا يتأخر عن الدفاع عن شعبه ولكنه كان

لا يندفع بل كان يطلب أن يجد عليه علة ليقتله بها وتنفيذا لمؤامرتة أرسل رسلا خفية إلى أرض الحجاز واليمن ليقدّموا عرايض ضد هذا البابا يدعون عليه فيها أن البطريك يرسل في كل وقت رسله إلى بلاد الحبشة ليحث ملكها على تخريب مكة وما فيها.

ولما علم البابا متاؤس بالروح ان العرائض كتبت ضده فقام قبل وصولها لمصر وصلى إلى الله سبحانه وتعالى واستعان كعادته بشفاعاة السيدة العذراء مريم والدة الاله كي تأخذ نفسه اليها بغير سفك دم حتى لا ينال شعبه في أثره شدة ولا صعوبة فسمعت العذراء القديسة طلبته وأصيب البابا بحمى صعبة انطرح بسببها مريضا ضعيفا. (كتاب 15 ص 293"أ" و 294 وفوه 177"أ").

ولما اتصل خبر مرض البابا بالامير الذى كان يروم قتله سكن غيظه قليلا عنه ولكنه لم يترك الشعب فى راحة بل صار يرسل رسله يهددون البابا ويتوعدونه من اجل شعبه إلى ان حملوا إليه من مال البابا نحو خمسمائة ألف درهم وقدموها له لعله يطيب قلبه ويكف عن تهديد البابا متاؤس. فلم يرتدع هذا العاتى الجبار ولم يكف عن تهديد هذا الأب إلى الساعة التى قارب فيها من الموت فأرسل إليه رسلا ليحملوه ويأتوا به اليه. فما كان من البابا الا ان طيب خاطرهم وسألهم ان يتمهلوا عليه إلى غد وهو يوم الاحد لعله يستريح قليلا ويقوى على حمل مشاق الانتقال فيأتون اليه ويحملونه إلى حيث يريدون. وكان يخاطبهم بهدوء وهو يعلم ان ساعته قد قربت ليخرج من هذا العالم ويستريح من جور ذلك الامير وظلمه. ومضى الرسل كما قال لهم. (كتاب 15 تاريخ 294 وفوه 178).

33- انتقال البابا متاؤس الأول من هذا العالم

لما حضر الرسل فى الغد بعد الاحد وجدوا ان البابا متاؤس قد اسلم الروح فى الهجعة الاولى من ليلة الاثنين قبل حضورهم بمهلة قليلة. فلما عاينوا ما كان بهتوا وتعجب ذلك الامير الطاغى بالاكثر ورأى ان الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يسلم هذا القديس لأيديه وخلصه من ظلمه بغير سفك دم كما كان عازما على ذلك فى ضميره ولكن الله العادل فى أحكامه لم يمهل هذا الامير بل سلط عليه من سعى به عند الملك فقبض عليه وعاقبه وعصره واخذ منه عوضا عن القدر الذى اخذه من هذا الأب اضعافا كثيرة ثم لا برح الامير الباغى فى الضرب والعقوبة حتى مات شر ميتة (كتاب 15 تاريخ ص 294"أ" وفوه 178"أ").

34- وصيته قبل وفاته

مات البابا متاؤس الأول موت القديسين الابرار وقبل وفاته دعا تلاميذه وأولاده الروحانيين وأبناء المختارين وأعلمهم بقرب ساعة انتقاله ثم أرسلهم فى تلك الساعة وأحضروا له جميع ما يحتاج اليه لتكفينه من ثياب وبرانس وهى عبارة عن ثوبين وبرنسين واسكيمين وقلنسوتين وشيرين وبلينين حتى التابوت فقد أشار عليهم بعمله ثم أوصاهم اذا أدرجوه ووضعوه فى ذلك التابوت أن لا يكشفوا وجهه وقت التجنيز بالكلية كعادة البطاركة ولا يمكنوا أحدا أن يقبل قدميه الميتة بل يتركوه ملفوفا فى أكفانه الصوف ولا يخرجوه عن سيرة الرهبان قط ويدفنونه كراهب حقير متواضع القلب وأكد عليهم أن لا يدفنوه إلا بين أولاده المضجعين داخل دير الخندق. ثم بعدما أوصاهم بهذا باركهم ووعدهم ثم أمرهم أن يغطوه بوزرته ويتركوه وحده. وهكذا فى الساعة التى غطوه فيها اسلم الروح فى الهجعة الأولى من ليلة الاثنين خامس شهر طوبة سنة 1125ش الموافق 31 ديسمبر سنة 1408م وكان عمره يومئذ ما

ينوف عن سبعين سنة قضى منها اربعين سنة راهبا ناسكا
مجاهدا وثلاثين سنة وخمس شهور وستة ايام بطريركا
(كتاب 15 تاخ وفوه ص 179"أ" و 180).
35- الاحتفال بجنازته

ثم اجتمع فى تجنيزه فى ذلك اليوم الكهنة والشمامسة
والأراخنة وكل طوائف النصرانية حتى طوائف اليهود
وغيرهم خلق لا يعد ولا يحصى وكان فى ذلك اليوم حزن
وبكاء ووعويل لم يحدث مثله حتى ان عمد وحجارة البيع
كادت تنكى على مفارقتة لانه من الذى لا يبكيه وهو
مطروح أمامه فى تابوته وصلبيه فى يده. فكان قوم يكون
على ما عدموه من حسن منظره وهيبته ووقاره وآخرون
يكون على ما فقدوه من كهنوته وأدابه واحتشامه وغيرهم
يكون على ما عدموه من محبته وصدقته وافتقاده وآخرون
يكون على ما فقدوه من طول اناته وصبره واحتماله
والبعض يكون على فقدهم من كان يخرج الشياطين ويشفى
المرضى ويعول المساكين وبقيم الموتى وهكذا كان الجميع
ينوحون ويبكون على فراقه لهم إلى أن كملوا تجنيزه كما
يقضى به الواجب ثم بعد الصلاة حملوا تابوته بالاكرام
والتبجيل والوقار حتى كان حمله فى ذلك اليوم على رؤوس
الشعب كمثل حمل تابوت العهد الذى كان يحمله بنو
اسرائيل فى ذلك الزمان لخلصهم من يد أعدائهم كذلك
كان حمل تابوت هذا البار القديس والأب الرحوم الحنون
لأنه أين هذا الرجل القوى الذى كان يستطيع أن يصل
ويحمل ذلك التابوت من كثرة الخلق المحيطين به
والمزدحمين عليه.

وكانت الأجناد والعساكر أمام التابوت تحجبه إلى أن
مضوا إلى دير الخندق حيث دفنوه فى الموضع الذى اختاره
لدفنه فيه. (كتاب 15 تاخ 294"أ" و 295 فوه 180) مازال

جسده مدفونا بمقبرته أسفل كنيسة القديس الأنبا رويس الأثرية.

36- العجايب التي أظهرها بعد دفنه

ثم بعدما دفنوه أظهر الله منه للمؤمنين آيات وعجايب كثيرة كانت بعد انتقاله أكثر مما كانت في حياته ففي الليلة التي تتيح فيها هذا البابا اضطربت أجساد اخوته البطاركة القديسين الراقدين بدير القديس أبي مقار وقد حدث ان رهبان الدير سمعوا مع اضطراب الأجساد صوت البواب يدعوهم قايلا: "قوموا اخرجوا وافتحوا الباب فإن البابا متى حضر وهو قايم يقرع الباب" فلما خرج الاخوة وفتحو الباب لم يجدوا أحدا فتعجبوا وصاروا لا يعلمون حقيقة الامر إلى أن وفاهم المخبر من مصر ان هذا البابا تتيح في الليلة التي عبر عليهم فيها لأجل أخوته البطاركة القديسين حتى تباركت الارواح الطاهرة من بعضها ثم اضطربت تلك الأجساد في تلك الساعة لعلمها بأن المسكونة فقدت في ذلك اليوم معلماً عظيماً قديساً وديعاً فحصل خوف كبير واضطراب جسيم بينها حتى ان القنديل الذي يقاد لهم وقع على الأرض وانطفأ ولم يتكسر وهذه هي المرة الأولى التي تراه فيها هذا البابا القديس بعد انتقاله. (كتاب 15 تاريخ ص 295"أ" و 296 وفوه ص 180"أ" و 181).

أما المرة الثانية فانه بعد أربعين يوماً تراه لثلاثة رجال غرباء مجروحين دخلوا دير الخندق وباتوا وقاموا باكر يوم الأحد سحرا جدا قبل شروق الشمس فوجدوا هذا الأب قاوما مرتديا برنسا ابيضا وهو ماشى يطوف بين الأموات في الليل مثلما كان يمشى ويطوف بينهم في النهار قبل الوفاة فلما رآه اولئك الرجال ولم يعرفوه خافوا وسقطوا على وجوههم وقد اقامهم من سقطتهم تلاميذ المتتبع البابا متاؤس فعرفوهم ما أبصروا ثم علموا منهم انه

القديس متاؤس البطريرك فتعجبوا وطلبوا اليهم أن يمضوا بهم إلى محل دفنه وتباركوا منه (كتاب 15 تاريخ ص 296).

وأما المرة الثالثة فانه تنبأ لتلاميذه قبل انتقاله ان البابا غبريال يكون البطريرك بعده. وكان بعض الشعب لا يصدق حتى ترى لهم البابا متاؤس المتتيح في اليوم الذي دعوا فيه البابا غبريال ليكرزوه قمصاً حينما كان الشعب مجتمعاً في المعلقة واذا بواحد من الشيوخ القديسين المجتمعين في ذلك اليوم أبصر هذا البابا بالروح قائما على جناح المذبح وهو يضع يده مع ايدي الأباء الاساقفة على رأس البابا غبريال. فلما نظر الشيخ ذلك تعجب وقصد أن يتبارك منه قبل أن يختفى عنه فباركه وودعه قايلاً: "اذكرني ياأخي فاني ماضى مع البابا غبريال إلى الاسكندرية وهكذا مضى هذا القديس بالروح مع البابا غبريال ولم ينظره غير كاهن اسمه يوحنا كان أخرسا يومئذ وكان هذا الكاهن قائما مع الجماعات للحضور إلى الاسكندرية فنظر أمامه فرأى القديس متاؤس يقول له: "منذ الآن يا هذا لا تكون أخرسا بل قم من عند الله وتكلم وعرف الجماعات انى حضرت في جماعة القديسين لأشاهد تكريس البابا غبريال بالاسكندرية" ولما تنبه الكاهن الأخرس وجد لسانه قد انطلق وتكلم كما ذكر للجماعات ما كلمه به البابا المتتيح القديس متاؤس وتعجب الكاهن كما تعجب السامعين بالأكثر وصار كثير من الناس لا يصدقون انه ذلك الكاهن الأخرس حتى اتوا ورأوه وسمعوا منه وكان كل من سمع يمجد الله على المواهب العالية التي افاضها الله على هذا البابا القديس في حياته وبعد انتقاله (كتاب 15 تاريخ ص 296 وفوه ص 181).

وقد حصلت منه عجائب كثيرة وعمل آيات معجزة لو شرحناها واحدة واحدة لا يسع لذكرها كتاب ولكن حان الوقت لاختتام هذه السيرة بذكر أولاده الشهداء لأنه كم من نفوس اشتراها للرب هذا البابا القديس في حياته كما لا يخفى على أحد ما حدث من الجهاد عن نفوس أولاده الشهداء والمستشهادين في زمانه وكان رحمه الله يوصي دائماً بذكر تذكارات هؤلاء الأبرار (كتاب 15 تاريخ ص 296"أ" وفوه ص 181"أ").

37- أسماء الشهداء القديسين الذين استشهدوا في

عهد البابا متاؤس الأول

قد سفكت دماء تسعة وأربعين شهيداً في عهد البابا متاؤس الأول وقد حفظت أسماؤهم لأحياء ذكراهم الطاهرة ولا ننساهم بل نداوم على تذكراهم وهذه أسماؤهم ان الأول منهم هو القديس يعقوب أبو مقيطف وهو أول المستشهادين في زمانه.

ومن بعده بناته الراهبات الثلاثة الشجيعات بالحقيقة اللاتي لما قدمن للسيف هللن وفرحن مزغردات كما تتهلل النسوة في أعراسهن وأفراحهن.

ومن بعدهن القديس رزق الله تلميذه ومن بعده القديس ايليا من أهل درنكه ومن بعده القديس القس سدراك والقديس فضل الله ورفيقهما المختار القديس داود البنا الذين اتوا الثلاثة من جبل القديس أنطونيوس.

ومن بعدهم رفقاؤهم الرهبان الثلاثة. القديس بركة المدعو جرجس وأخواه بالرب القديسان جرجس وجرجس اللذان اتيا في أثره من ذلك الجبل أيضاً.

ومن بعدهم القديس أرسانيوس الحبشى وذكر اسمه في نسخة أخرى ارشيليدس الحبشى الذى أتى من جبل قسقام.

والقس قزمان الخراز الذى من القلندول. ومن بعده القس أبو الفرج الذى من غرب قموله.

ومن بعده القس روفائيل الذى من البحيرة. والقس يوحنا الذى من أهل طوخ. والقديس القس الذى من الفرنج وقد سمروه حرقوه حيا بظاهر الاسكندرية. والقديس القس هبة الله الكاتب الذى سفكوا دمه ظلما بظاهر ذلك الثغر أيضاً.

ثم الرهبان المجاهدون الفرنج الأربعة الذين تغربوا عن بلادهم حضروا للزيارة إلى بيت المقدس فسفكوا دماءهم واعترفوا الاعتراف الحسن وقطعت اجسادهم قطعاً بالسيف بظاهر المدينة المقدسة اورشليم. ومن بعده القديس الراهب موسى الذى من الجيوش ورفقته الجيوش الستة الذين سفكت دماءهم ظلماً فى الطريق النازلة من غزة إلى اورشليم. ثم القديس البكر الطاهر حديد الذى من الجيزة هذا الذى سألوه أن يتبع جده فانتهرهم قائلاً: "عجلوا بقتلى ياهؤلاء فانه ليس لى أب ولا ام ولا جد سوى المسيح وحده". والشابان المجاهدان بمصر القديس نصر الله والقديس أبو اسحق الذى من أولاد القبط. والقديسان يعقوب ويوحنا من أهل سنباط. والقديس بولس من منية بنى خصيب.

والقديس فريج الذى من طنان ورفيقه القديس ميخائيل والد الطوبانى رويس. والقديس يعقوب القس الذى اخرجته الامير يلغا السالمى عن أمانة المسيح وهرب عند المساء واعترف فى الصباح بالسيد المسيح.

والقديس منصور بن بطرس ورفيقه داود الامنوت اللذان سعى بهما ابراهيم الراهب السريانى واحضرهما من البرية كى يخرجهما عن الايمان فلم يخرجاً بل صبرا وجاهداً وغلبا مقاوميهما ونالا اكليل الشهادة ثم ندم بعدهما

ابراهيم السريانى وعاد وآمن وأخذ الشهادة مثلهما وصار
ثالثهما.

ثم الشاب المجاهد القديس ماماديوس المدعو ميخائيل
(ويظهر انه كان مسلماً وتنصر) وقد كان الحكام كلما
عاقبوه وقالوا له ما اسمك يقول لهم: "أما اسمى الأول فهو
ماماديوس الذى سميت به من بيت أبى أما اسمى الآن
الذى أموت عليه وأحيا به فهو ميخائيل ولم يبرح ثابتاً على
هذا بقوة عظيمة إلى أن مات بحد السيف على اسمه
القدس.

ومن بعده القديس عيسى الذى من الارمن. والقديس
أبو الفرج البنا الذى من نواحي المقس. والقديس غبريال الذى
من أهل هو. القديس ابراهيم الذى من نواحي شبرا.
والقديس يعقوب الذى من المناوات. والقديس جرجس
الشهير بابن الراهبة هذا الذى بسفك دمه طهره الله من
خطاياها الاولى التى صنعها على الارض. وصار خاتم
الشهداء الذين استشهدوا فى زمان هذا الاب لأنه بعد سفك
دمه طلب البابا متاؤس من السيد المسيح أن لا يعود ينظر
دما آخر يهرق على الارض من أجل المؤامرات الرديئة
التي تأمر عليه بها ذلك الأمير (الأمير جمال الدين) وعلى
جماعة شعبه وهكذا سمع الرب لهذا البابا ولم يُريه هلاك
شعبه وأخذ نفسه اليه وصار موته اعجوبة لمن أبصره كما
سبق ايضاحه.

نعم طوباك بالحقيقة أيها الاب البطريك لانك حسنا
طلبت الموت وبموتك أطفأ الرب غضب التتين القاتل الذى
كان يريد قتلك وقتل شعبك أغنام رعيتك. نعم أيها الاب
حسنا طلبت الموت وكان موتك كالحكم المكتوب الذى حكم
به احبار اليهود على سيدك قايلين: "انه خير لنا أن يموت
رجل واحد عن الشعب من أن تهلك الأمة كلها" نعم أيها

الآب حسنا طلبت الموت ولم تدفن في أرض غريبة بل دفنت بالأرض التي دفن فيها الآباء والاختوة والجدود. ولهذا يا أيها السيد الآب لقد أحببت رقادك في هذا الموضع المقدس بين أولادك المباركين المساكين وهكذا نسألك نحن المجتمعين في هذه البيعة أن تذكرنا جميعنا وأن نعيد لتذكارك الصالح.

يارئيس الكهنة التي كانت صعائده ومحرقاته دائما صاعدة أمام كرسي الله في كل حين وها هو ذا صعائدك إلى الآن لم تبطل من قبل تذكارك الصالح.

من هو الذي يسمع بالصعائد والمحرقات التي كنت تقدمها أمام الرب وما يقدمون قرابينهم في يوم تذكارك فرحين من أجلك كي تقدمها عنهم غفرانا لخطاياهم ومحواً لذنوبهم. نعم يا أبى من ذا الذي سمع بالصدقات والمراحم التي كنت تصنعها مع المساكين على الأرض ولا يقدمون يوم تذكارك قرابينهم فرحين من أجلك لكي تقدمها عنهم غفرانا لخطاياهم ومحواً لذنوبهم. نعم يا أبى من ذا الذي سمع بالصدقات والمراحم التي كنت تصنعها مع المساكين على الأرض ولا يقدمون اليوم صدقاتهم مسرورين من أجلك.

نعم ياسيدى الآب طوبى لمن يصنع رحمة في يوم تذكارك طوبى لمن يدعو المساكين والجياع يأكلون ويشبعون في وليمتك. طوبى لمن ينصت بإيمان لما يتلى عليه من شرح سيرتك ويكتب بذلك تذكارا لبنيه من بعده كي تصير بركتك في بيته إلى الدهر كما هو مكتوب ان الذي يكتب أخبارك وقصص القديسين يكتب الله اسمه مع القديسين.

كما نطلب ونسأل أبوتك اليوم أن تسأل الرب عنا وأن تجعل نصيبنا معك في الفردوس لكي نبارك ونمجد اسم

ربنا يسوع المسيح هذا الذى ينبغى له المجد والاكرام
والسجود والوقار مع ابيه الصالح والروح القدس المحى.
الآن وكل أوان والى دهر الداهرين أمين.
والسبح لله دائماً ابداً سرمداً.

بسم الآب والابن والروح القدس
38 . مرثية

من شرح الابوغالمسيس فان هذا الآب متاؤس الأول
كان يحب معانى أقواله فى حياته والى يوم انتقاله الذى هو
الخامس من شهر طوبية سنة 125 أش يرحمنا الله بصلواته
امين

هلم الينا اليوم يا يوحنا يا ابن الرعد الانجيلى حبيب ربنا
يسوع المسيح وجدد لنا صوت نحيبك الحلو القايل ضرب
الراعى فتبددت الخراف. تعالى يا يوحنا وادع أم معلمك
لتأتى وتعزينا على فقد ابنها الجديد وحببيها اعنى ابينا
البطيريك أنبا متاؤس.

وتعالى يا يوحنا وابكى معنا اليوم على الآب والمعلم
الحكيم الذى ما كان يمسك ذاته عن البكاء عندما يقرأ نص
ما شاهده من الآلام عن معلمه لأن يا يوحنا من ذا الذى
بقى يفسر لنا أقوالك. من ينسى منا ايضاح انجيلك
وشهادتك. من يشرح لنا الكلمة المقولة: يا بنى أنا معكم
زمناً يسيراً. سيروا فى النور مادام لكم النور لئلا يدرككم
الظلام. من يعلن لنا القول القايل: قليلاً تروننى وقليلاً لا
تروننى. من يبرهن لنا الكلمة المقولة: ستأتى ساعة وقد
أتت الآن ويتفرق فيها كل انسان منكم إلى مكانه وتتركونى
وحدى.

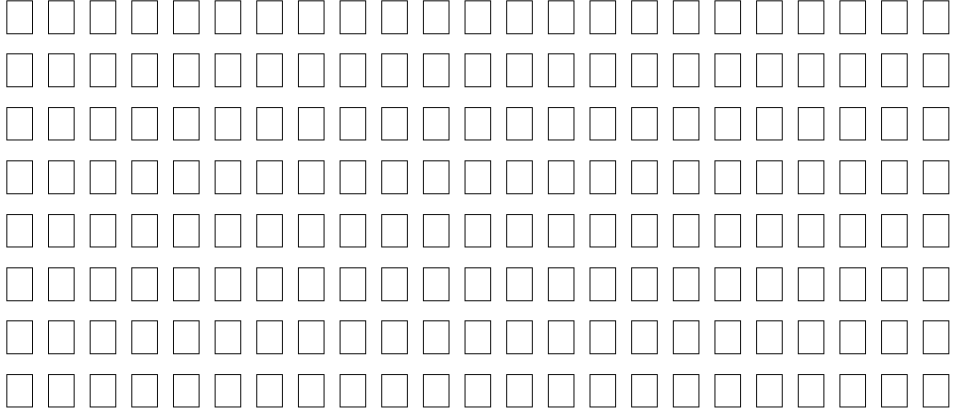
من يوضح لنا المكتوب: هكذا نفسى حزينة حتى
الموت قوموا الآن يا اخوتى واسهروا معى. نعم يا يوحنا من

يعلن لنا هذه الأقوال كلها. ويصور صورة الآلام نصب الكل كما صورها هذا الأب نصب عيوننا. من ينظر بعيني عقله مريم وهى قايمة تحت الصليب تبكى. من ذا الذى لا يبكى لسماع ذلك الصوت القايل:يايوحنا خذ أمى إلى منزلك. كما كان هذا الأب ينوح ويبكى.

ومن يتأمل تواضع سيدك وهو قايم بين أجناد قيافا. من يتذكر صياح اليهود وهم يصيحون على بيلاطس الوالى قائلين: اصلبه اصلبه. من ينظر خزى البصاق والجلد والسياط واللطم الذى وقع على معلمك فى ذلك اليوم من يتفرس فى تواضع سيدك وهو حامل خشبة صليبه إلى الاقرايين. من ينظر فى أمر الظلم الذى صنعوه بمعلمك فى أسواق أورشليم. من يتأمل آثار الصليب والمسامير التى سمرت بها تلك اليدان المقدستان. من لا يحترق حزنا على مذاق الخل والمرارة التى سقوهما لمعلمك على الصليب. من لا يتنهد بوجع قلب فى الطعنة التى طعن بها ذلك الجنب الالهى كما كان هذا الأب يتنهد لذلك جميعه ويبكى. من لا يحزن مع يوسف ونيقوديموس على الغير مائت الذى تألم وذاق الموت من أجلنا.

من هو الذى يحافظ على جسده ودمه ياالهى كما كان هذا الاب يحترس فى خدمة السراير المقدسة. من ذا الذى ينظر ابن الله قايمًا على المذبح ولا يخاف منه لئلا يطلب منه دم الكهنة المتهاونين بخدمة المذبح كما كان هذا الأب يخاف على طرد الكهنة المتهاونين بتلك الخدمة. وعلى الجملة ياأبى يوحنا من ينظر فى حال الاسرار الكائنة منذ البدء ويحذرنا من الضربات المكتوبة فى الابوغالمسيس الذى لك كما كان هذا الأب يخشى علينا من الوقوع فيها.

نعم يايوحنا تعالى وأنظر تمام النبوات كيف تمت وانتهت إلينا. تعالى وأنظر تمام الضربات كيف تمت



عدت الى ونسيت قول الكتاب
القاليل: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الورا
يصلح لملكوت الله" (لو 9:62) (42"أ") فلما سمع توبيخ
والدته لم يستطع الثبات أمامها بل قام بسرعة ومضى إلى
برية القديس العظيم انطونيوس وشاءت العناية الالهية أن
يكون القمص رفائيل النعناعي صديق العائلة مقيماً هناك
وقنتئذ فلما نظر إلى الشاب فرح به جداً ثم أخذ في تعليمه
أياماً قلائل وبعد ذلك انفذه إلى دير القديس أنبا بولا كي
ينفرد هناك للعبادة لان الشاب كان بغير لحيه وقد قصد
القمص رفائيل أن ينفرد هناك ولا يخالط أحداً من الاخوة
البتة حتى تكمل لحيته ولا يتكلم أمامهم بالمره فانفرد للعبادة
وحفر لنفسه في هذا الدير قبراً بجانب البستان وصار
يصوم في ذلك القبر يومين يومين وكان عندما ضايقه
العدو بالجوع في اليوم الأول كان يصبر نفسه ويهدئها
قايلاً: "لا تقلقى يانفسى لا تحزنى لانه مكتوب هكذا "انه في
العشاء يكون البكاء وفي الصباح يكون الفرح فما انت اليوم
صايمه وفي الغد ستأكلين وتفرحين" فكانت نفسه تتعزى
بهذا الكلام الصالح وتفتتت به وتصبر صائمه من يوم إلى
يوم (43).

ضايقه العدو بالجوع فى اليوم الأول كان يصبر نفسه ويهدئها قايلا: "لا تقلقى يانفسى لا تحزنى لانه مكتوب هكذا "انه فى العشاء يكون البكاء وفى الصباح يكون الفرح فيها انت اليوم صايمة وفى الغد ستأكلين وتفرحين" فكانت نفسه تتعزى بهذا الكلام الصالح وتفتتت به وتصبر صائمة من يوم إلى يوم (43).

وقد بلغ الاب مرقس فى الصوم بالتدريج قليلا قليلا إلى أن صار يصوم ثلاثة ثلاثة وبعدها أربعة أربعة وبعده قليل أكمل الاسبوع (44).

وقد كان يعمل بعد ذلك حمالا للحطب فى برية القديس أنبا بولا وكان اخوته الرهبان يغصبونه على الأكل ليكسرا القانون الذى وضعه لنفسه فكان يحمل ما يعطونه من الزاد الخبز ويطعمه خفية عن اعينهم للجمال فى الطريق ولا يبرح طاوياً إلى كمال المدة التى حددها لنفسه (44).

فاقام بدير القديس بولا ست سنوات لم يجلس فيها مع اخوته الرهبان على المائدة ولم يشاهده أحد يأكل يوما بل كان اذا أكل لا يأكل إلا منفردا واذا صام لا يعرف احد ما هو حد صيامه حتى انه من زايد الضعف والنسك الذى حصل عنده اخرجه اخوته بالقوة من دير القديس أنبا بولا وحملوه من شدة ضعفه إلى المجمع الكبير بدير أنبا أنطونيوس ثم وكلا به انسانا ليعطيه طعامه بالعصاة يوما بيوم وكان لا يوافق بل يترك طعامه على المائدة يومين يومين حتى يجف وينتن حينئذ يمضى يمزجه بالماء ويتناول منه (44"أ" و 45).

وكان هذا الاب يضيق على نفسه فى الحياة النسكية بكل نوع حتى وصل به الحال إلى ان كان اخوته الرهبان تعف نفسهم من تذوق طعامه الذى كان يتغذى به ولا

الحشايش الضارة التي كان يضعها في طعامه وكان يغلى هذه الحشايش بالماء ويتركها أياما حتى تنتن وتمتلئ دودا فيأكلها عضوا عن الطعام. ولم تكن لهذا الشيخ عادة أن يأكل لونين من الطعام قط كما لم يتعود أن يشبع بطنه وكان اذا جلس على المائدة مع الاخوة لا يفارقه الكتاب الذي كان يضعه في حجره وكان تارة يأكل ويبكى واخرى يقرأ ويبكى. ولما قصد اخوته الرهبان معرفة اسباب بكائه على المائدة قال لهم: "هكذا يا أولادى سأل الاخوة القديس باخوم أب الشركة عن سبب بكائه على المائدة فقال لهم ما بكائى إلا عليكم يا اخوتى لأنى أنا اكل خبزا فقط وانتم تأكلون من كل نوع" وكان اذا اضطره اخوته الرهبان أن يأكل على المائدة عسلا أو قليلا من الزيت كان ينتهر الأخ قائلا: كف عنى يا هذا لئلا تعمينى" وكان لا يشير لعمى البصر بل كان يحقق لاخوته أن النفس التي تمتلئ من الشهوات الجسدانية تعمى فى ذاتها عن النظر إلى الله عز وجل. وكان من فرط صومه وتشفه ان يترك ما يحمل اليه من الطعام ولا يطعم الاخوة سوى القراقيش والخل الممزوج بالماء لان من عادته انه كان يشتهي أن لا يكون لأحد رغبة فى المأكول والمشرب قط حتى ولا للعلمانيين الذين كانوا يأتون لزيارته فكان يلزمهم على مداومة الصوم فى كل يوم إلى التاسعة (46) وكان لا يسمح للاخوة لا فى السبت ولا فى الحدود ولا فى أيام الخمسين ان يتناولوا إلا اليسير من الطعام فى الساعة التاسعة (46"أ") وكان دائما يقول لأولاده عندما كانوا يشفقون على جسده من الضعف وآثار الشيخوخة: "لا يا أولادى لا تأمنوا لهذا الجسد ولا ترخوا له الحبل ولو فى القبر لئلا من الشبع نحرك فيه الأوجاع".

ولما أهدى اليه بعض محبيه وعاء مملوءا عسل نحل أخذ الشيخ الوعاء بما فيه وطرحه تحت العقود إلى جانب

بيت الخلاء فلما اطلع الاخوة على ذلك خاصموه فاجابهم قائلاً: "لا يا أولادى لا تخاصمونى فان الموضع الذى هو صائر اليه اودعته فيه" فلما سمع الاخوة كلامه اتعضوا منه واتبعوه لأن كل أقواله وتعاليمه كانت نافعة جداً أساسها الحث على رفض الاشياء الجسدانية (ص 47).

بالاختصار كان هذا القديس مثالا حيا لأولاده واخوته الرهبان فى الحياة النسكية وزهد العالم وكانت تتكشف له أسرار عجيبة وخفايا غريبة حتى انه كان يكون مع أولاده الرهبان بالجسد وهو ينظر بالروح إلى كل الممالك الارثوذكسية وكان دائما يذكر كل واحد من ملوكها اعنى ملوك الحبش والروم والأفرنج وغيرهم وقد أذاع الرب سبحانه وتعالى اسم هذا الشيخ القديس فى بلادهم حتى صاروا يحملون اليه من بعد هداياهم ويستغيثون به فى شدتهم وعند حروبهم ومما يذكر له فى سيرته الطاهرة ان أحد ملوك الأفرنج وقع بينه وبين أعدائه حروب فصار يستغيث بالقديس انطونيوس الكبير ولم يشعر إلا انه ابصر الشيخ مرقس ابن انطونيوس قائماً معه فى الحرب وهو يهزم أعداءه أمام وجهه إلى أن طاردهم جميعاً وانتصر عليهم فلما نظر الملك ما كان تعجب وأخذ يتقصى من رؤساء دولته عن المنظر الذى رآه فاخبروه ان هذا المنظر ليس لأبينا انطونيوس بل هو لأحد أولاده ولعله يكون للقديس مرقس ابن انطونيوس لان خبره كان ذائعا فى تلك البلاد فقام الملك للوقت لزيارته وحضر عند الأب مرقس واستدعى جميع الاخوة إلى بين يديه فلما وقفوا أمامه وعانينهم لم يعانين بينهم صورة الشيخ الذى ظهر له فى القتال فحزن جداً وأخذ يسأل ويفتش واذا بالشيخ يعبر عليه آتيا من بستان الدير وهو حامل جرتين ماء فلما نظره الملك وعرفه كشخص الرؤيا فرح جداً وانطرح للوقت ساجداً على

قدميه وأخذ يقول لترجمانه: ان هذا هو الذى ابصرته قائما معى فى الحرب فى بلادى وهو يحارب عنى ويدافع".
ثم من عظم فرحه بلقاء الشيخ أخذ يسأل أن يقبل منه شيئا على سبيل الهدية فلم يقبل ولكن الاخوة توسلوا عند الشيخ كى يطلب إلى الملك أن يعمل لهم الجرس الكبير الذى بالدير وانصرف الملك مسرورا إلى بلاده وعمل الجرس الكبير وأرسله وقد صار هذا الجرس تذكارا حيا للآية التى صنعها الشيخ مع الافرنج ولهذا صارت كل طائفة من الفرنج لا تحضر إلى هذا الدير إلا ويسألون عن أبينا الشيخ فقد كان يمنحهم البركة ويعطيهم تذكارات من قبله يتباركون بها (63).

وكان لا يحضر أحد إلى الشيخ من القرييين أو البعيدين إلا ويدعهم ينصرفون فرحين متعزين مجبورى خاطر حتى نفس الاخوة الذين كانوا يسكنون معه ايضا كان لا يدع أحدا منهم تحزن نفسه إلا ويعزيه بكلمة مبروكة فيزول ما به من الحزن فى الحال (63أ).
وقد كان الذين يحضرون إلى الدير يأتون إلى الشيخ بالهدايا الثمينة فكان لا يلتفت إليها سوى بالبكاء والنوح على جميعهم حتى يرجعوا إلى الرب عن خطاياهم واثامهم (64).

وقد كان فى آخر أيامه يلزم النوح والبكاء حتى أخذ يسأل الاخوة أن يطلقوا له باب الطافوس مفتوحا لينزل فيه ويسكن بين الأموات ويبكى فلما منعه اجابهم قائلا: "يا أولادى لا تخاصمونى لأنه هكذا قال بعض الشيوخ: ان الذى يسكن بين الأموات لا يخطئ أبداً لأنه ينظر حال من أخطأ قلبه ومات ويدرك كيف صار ويبكى على ما هو صاير عليه مثله".

وكان دائما يطلب من المرتل أن يتلو له مرثى أرميا التي بطريقتها المحزنة وكان يلزم الجميع بالسكوت مع البكاء وقت التلاوة إلى أن تفرغ تنمة المرثية (65).

ومما يجدر ذكره لهذا الشيخ الحادث الذي وقع له هو والقس متي الذي اصبح بطريركا في الطريق عندما قبض عليهما الأمير يلبغا للانتقام منهما مما أتاه الافرنج من أعمال النهب والسطو على مدينة الاسكندرية مما ورد مفصلا في سيرة هذا البطريرك. وفي آخر أيامه اعلمه الروح القدس ان ساعته قد اقتربت حينئذ صار يعزى بنيه على مفارقتهم منه ويذكرهم بالقول الذي قاله مخلصنا يسوع المسيح لتلاميذه: "يا أولادى ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى" ولست ادعكم أيتاما بل سوف أجيئكم عن قليل" "ومن كانت عنده وصاياى ويحفظها ذاك هو الذى يحبني والذى يحبني يحبه الآب وأنا اظهر له نفسى".

وقد كان هذا الشيخ يشير دائما لأولاده الرهبان عن اقتراب ساعة انتقاله من هذا العالم حتى أدركه الضعف بغتة ووقع فى مخاض الموت فصار يودع أولاده وداع الموت بدموع وبكاء قائلا: "ستوحشونى يا أولادى وسيوحشنى انسكم وعزاءكم وقراءتكم لى الكتب فى كل ليلة ويوحشنى اجتماعكم الصالح وافتقادكم لى باكر وعشية ووسط النهار ويوحشنى عظم اجتهادكم معى ومؤازرتكم لى هكذا فى كل يوم ولكن يا أولادى ان وجدت لى عندكم دالة وقبلتم ما أوصيتكم به فليس لى عندكم وصية سوى ان تهتموا بعضكم ببعض وأن تحبوا بعضكم بعضا" وكان يودعهم باستمرار بمثل هذه الاقوال الثمينة والنصائح المحيية وكانوا يسمعونه وهو فى أشد حالة البكاء فكان يقول لهم: "كفاكم بكاء يا أولادى لانكم تعملون قلبى لكن اعلموا انه بعد أن حلت الساعة التى تكون فيها الوفاة قد رأيت من كثرة بكائكم

اباءنا الشيوخ انطونيوس وبولا يسجدون أمام الكرسي ويسألون السيد المسيح أن يتركني قليلا لكم" وهكذا ظل هذا الشيخ في ذلك المرض كمال السننتين وكان عزاءه رغم ضعفه ورقاده أعظم من عزائه وهو قايم على قدميه وقد بلغ هذه الشيخوخة الصعبة والضعف المتأهلي ولم تتغير حاسة عقله ولم ينقص ضوء بصره من كثرة البكاء بل كان يميز كل من يدخل اليه ويعزى كل واحد كاستحقاقه(ص67 إلى 70"أ").

ولما اقتربت الساعة صار الشيخ يزود أولاده بالنصائح والارشادات ويوصيهم بالسير معا بالمحبة حتى تتهد بالروح وصرخ قايلًا: "قوموا يا أولادى وتفرقوا لانى وصلت إلى المينا كما هو مكتوب انه قد حضرت الساعة ليتفرق كل انسان منكم إلى مكانه" فصار الاخوة يسألونه يبكاء مر عن مصيرهم بعده فقال: "اما قد سمعتم ما قاله مخلصنا: ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى الذى يحبني ويحفظ وصاياى أنا لا افارقه البتة بل هوذا أنا حاضر معه فى كل وقت أحضر اليه واعزيه واترأى له" وصار يحدثهم هكذا إلى الساعة التى علم انه يسلم فيها الروح حينئذ نزع للوقت ما كان عليه من الثياب وصار عاريا وترك نفسه هكذا ولم يرض أن يلصق بجسده شيئاً. كان يقول لهم "انظروا يا أولادى كم عشت من العمر أمامكم وهكذا كما ولدت فى العالم عاريا فهكذا أنا خارج منه عاريا لم يتبعنى ثوب ولا زاد ولا همّ وكذلك تكونون انتم أيضا يا أولادى فلا تفتنوا لكم ثوبا ولا زادا ولا هما ولا يكون لكم رغبة قط فى شئ من مقتنيات هذا العالم البتة بل اتركوا عنكم ما هو أسفل واطلبوا ما هو فوق فإن مصيرنا نحن الكل إلى ما هو هناك ولا ينفعنا فى تلك الساعة لا خلا ولا صديقا ولا مالا

ولا أولادا بل لا ينفع كل واحد منا ولا يكافأ كل منا سوى ما صنعت يده ان كان خيراً أم شراً".

ولما دنت اللحظة الأخيرة اشار لتلاميذه واخوته ان يخرجوا ويتركوه وحده وكانت الساعة السادسة من النهار وكان ناقوس الصلاة قد ضرب فلما خرج الاخوة للصلاة وتركوه وحده اسند رأسه على أحد تلاميذه ورشم اعضاءه وحواسه بالصليب واسلم الروح للوقت في تلك الساعة بكل هدوء وراحة حتى ان جماعة من الاخوة لم يصبروا إلى ان يكملوا الصلاة بل حضروا فوجدوه قد اسلم الروح فحزنوا عليه حزناً عظيماً وحملوا جسده إلى البيعة وقام القمص ابرام بتجنيزه بعد أن كفنه باكفان نقية وضع جسده في تابوت من خشب نقي حسب طقسه واستحقاقه ثم اضاف على جسده في ذلك التابوت من اللبان النقي والعندروس ثم اخذ عمامة جديدة من كتان صنعها كالفائف ووضعها على جسد الشيخ وقبره في قبر جديد داخل البستان. وكانت نياحة الشيخ القديس في الساعة السادسة من يوم الاثنين الثامن من شهر ابيب سنة 1102 للشهداء الاطهار (ص 74 إلى 77"أ").

وقد حكى احد الاخوة القديسين المقيمين بالدير انه في اليوم الذي انتقل فيه هذا الشيخ ابصر عساكراً واجناداً نورانية لا يحصى لها عدد قد نزلوا من السماء وأحاطوا بالدير أجمع وأقاموا بخارجه إلى أن دخلت امرأة حاملة طفل وقد غلب ضوءها نور الشمس فجلست إلى جانب الشيخ ثم قبلت نفسه الطاهرة اليها وكان جميع القديسين يرتلون قياماً حولها حتى اصعدتها إلى السماء بفرح ومجد عظيم (77"أ" و 78).

ولهذا الشيخ القديس فضائل عظيمة كما سبق ايضاحه فيما تقدم بيانه وقد كانت له عجائب لا تعد ولا تحصى

ذكرت أهمها فى كتاب سيرته وكلها تدل على ما كانت له لدى الرب يسوع المسيح من المكانة حتى كان يستجيب لندائه ويلبى له كل طلب نفعنا الله ببركاته امين (مخلصا من كتاب ميامر شهر أبيب رقم 24 تاريخ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء الاثرية بحارة زويلة بالقاهرة).

تاريخ القديس البار الانبا فريج الشهير بانبا رويس المقدمة

لقد استقيت تاريخ القديس البار الانبا فريج الشهير بانبا رويس من مصحف مخطوط قديم محفوظ بكنيسة العذراء مريم الموجود فى دير الخندق المعروف الآن بدير أنبا رويس تاريخ نسخها يوم الأحد 21 بابه سنة 1469ش الموافق يوم 29 أكتوبر سنة 1752م والناسخ لها هو الشماس مسعود بن حنا ولد ميرهم الخواتكى صراف ناحية كوم اشفين والمهتم بها هو القمص برسوم خادم بيعة الشهيد مرقوريوس أبى السيفين بحارة البطرك بمصر القديمة وأوقفها على بيعة الست السيدة العذراء والقديس العظيم أنبا رويس بالخندق بضواحي القاهرة وكتب عليها البابا مرقس السابع البطريك (106) الذى تولى الكرسي من سنة 1461ش إلى سنة 1485ش بخطه الشريف بتاريخ 23 كيهك سنة 1469ش ما يثبت وقفها على بيعة القديس العظيم أنبا رويس.

التاريخ

1- عائلته وميلاده وطفوليته

ولد القديس فريج فى ضيعة منية بمين من أعمال الغربية من أبوين مسيحيين وكان اسم أبيه اسحق وامه سارة. وربياه على المبادئ المسيحية الطاهرة.

وكان أبوه فلاحاً فلما شب القديس فريج عن الطوق كان يساعد أباه في عمله. فاذا ما انتهى من عمل الحقل كان يبيع الملح على قعود صغير، وقد سمي قعوده هذا رويس لأنه كان يداعب صاحبه برأسه الصغيرة، وقد كان هذا الجمل اليفاً وديعاً مطيعاً حتى انه كان اذا دعاه فريج باسمه يلبي دعوته، ولقد بلغ من ذكاء هذا الجمل انه كان يغطي القديس اذا ما نام بدون غطاء ويوقظه في مواعيد الصلاة.

2- تشتت عائلته بسبب الاضطهاد

وقد أقام القديس فريج في منزل والده إلى أن بلغ العشرين من عمره وحدث ان وقع اضطهاد عظيم على النصارى وقاسوا من جرائمه تجارب شديدة حتى ان والد القديس فريج خرج عن الايمان من شدة وطأة هذا الاضطهاد.

3- اختفاء فريج وسفره إلى مصر ورؤياه

لما ظهر الاضطهاد وتشتت العائلة اختفى فريج وسافر إلى مصر لا ينوي على شئ ومن شدة تعب وجوعه نام في الطريق. فرأى في نومه رجلين يلمعان كالبرق اختطفاه وحملاه إلى السماء ثم دخلا به إلى كنيسة سمائية رأى فيها جمعاً كبيراً من المصلين. وسمع صوتاً من داخل يدعوه قائلاً: "انت جوعان يا هذا تقدم وكل من خبز الحياة وحينذاك قدمه الرجلان المضيئان إلى المائدة وتناول من الاسرار المقدسة، ثم اعاداه إلى الموضع الذي أخذه منه وبعدهما رأى هذه الرؤيا قام وعبر إلى مصر.

4- سفره إلى الوجه القبلى واعتناقه اسم رويس

وبعد أن وصل مصر توجه إلى الوجه القبلى وفي هذه البلاد عمل على تغيير اسم فريج باسم رويس زيادة إلى انكار ذاته وابتعاداً عن الصيت والشهرة العالمية، لأنه

اشتهر بتعاليمه وعجائبه وقداسته ونسكه وطهارته، وتبعه جمهور عظيم من عارفي فضله، ولكنه تركهم ليعيش غريباً على الأرض إلى حيث لا يجد مكاناً يسند فيه رأسه، وكان شديد الحنين إلى السماء وكثيراً ما كان يترنم بقول المرنم: "الويل لي فاني غريب وغرّبتى قد طالت، وسكنت في مساكن قيّدار" وكان يرثيها بنغمة الحزن وكان كل من يسمعه يبكي من شدة التأثر.

5- شدة نقشفه وبره وتقواه

ولقد قسا هذا القديس على نفسه وقمع جسده فكان لا يأكل الا قليلاً ويأكل التافه من الأطعمة، ولا يلبس إلا ما يستر العورة ويترك باقى الجسد عارياً معرضاً لحرارة الصيف وبرد الشتاء. وكان شديد الحرص على حياته الروحية يخشى عليها من كل ما يخدشها. وكان ينسج في حياته على منوال القديس يوحنا المعمدان.

ولقد طاف هذا القديس كل بلاد القطر من قوص إلى دمياط والاسكندرية وكان اذا دخل بلداً يعمل بيديه ليحصل على ما يقوم بأوده ويتصدق بما يتبقى من أجرته بعد أن يرسل لوالده ما يساعده على ضيقته.

وكثيراً ما عرض عليه أتباعه وتلاميذه الملابس الفاخرة أو النقود والهبّات فكان يرفضها وكان ينظر إلى مقتنيات هذا العالم كأكبر معطل للإنسان عن خلاص نفسه. ومرة نظر إلى أحد تلاميذه وقال له محذراً: "إياك أن تطأ برجلك هذه العقرب لنألا تلدغك وتميتك بسمها القاتل" فنظر التلميذ إلى الأرض فوجد درهماً ذهبياً فاندحش، فقد كان هذا القديس ينظر إلى الذهب والفضة كما ينظر إلى العقارب والأفاعى السامة وكان اذا اتفق وداس على شئ منها نفّض الغبار الذى لصق برجله إمعاناً فى الزهد بحطام الدنيا. وهذا النقشف الزائد وهذه الآراء الغريبة عن أهل

العالم جعلت القديس فريدا فى بابه واعتبره أهل زمانه شاذاً فاصبح وحيداً.

ولم يكتف بهذا الحرمان بل تفوق فى التقوى حتى كان يصرف حياته كلها فى الصلاة والصوم. فقد كان يصوم يومين يومين وثلاثة ثلاثة صوماً إنقطاعياً ومرة صام اسبوعاً كاملاً وأخرى صام 11 يوماً متوالياً كما شهد بذلك البابا متاؤس البطريك. وأخرى صام 26 يوماً متواصلة وكان يقوم بتأدية هذه الأصوام سرا بحيث لا يفطن إليه أحد.

6- مواظبته على تناول الأسرار المقدسة والحض على الاستعداد لها

لقد كان هذا القديس مواظباً على تناول الأسرار المقدسة فى جميع الاحاد والأعياد. وكان يتناولها فى خوف ورعدة وكثيراً ما كان يظهر تردداً عند تناولها. معتبراً نفسه غير مستحق لتناولها. ولما سأله أحدهم عن هذا التردد اجابه: "انه لا يستحق تناول من هذه الأسرار المقدسة الا من كان جوفه طاهراً نقياً كأحشاء سيدتنا الطاهرة مريم التى استحققت أن تحمل المسيح فى أحشائها".

ولقد كان شديد الوطأة على من يتقدم إلى الأسرار المقدسة بدون استحقاق. وفى ذات مرة احضر فخذ خروف ملونا بالدماء وقدمه إلى بعض الذين تقدموا للتناول على غير استعداد وقال: "خذوا كلوا إذا استعظتم إلى ذلك سبيلاً" فخللوا من تقصيرهم.

وقد كشف الله عن بصيرته فكان يرى مجد الله حالاً على الأسرار المقدسة فى الهيكل فيضى بلمعان لا يوصف.

7- سموه الروحى ومواهبه الروحية وتواضعه

واستطاع أنبا رويس بجهد وجهاده وتواضعه وتذلله واحتقاره للامور المادية. ان يصل إلى درجة روحية سامية تفوق حد الادراك كأن ينتقل بروحه إلى أقصى بلاد العالم. فمرة إنتقل إلى أسيوط ورجع خلال ساعة أنهى فيها مهمة إنسانية جلية. واخرى إنتقل إلى الشام لينجد مكروبا. ووهبه الله معرفة الأسرار المكنونة. ودخول الأمكنة وأبوابها مغلقة. وقد استعمل كل هذه المواهب الروحية الفايقة حد الطبيعة فى تمجيد اسم الله وخدمة الانسانية المعذبة. فكثيرا ما انصف مظلوما واغاث ملهوفاً ورد خاطئاً عن غيه وطاغيا عن ظلمه وخلّص نفوسا لا تعد ولا تحصى.

ولما كانت الاعمال العظيمة التى يضطر إلى القيام بها بدافع المروؤة والنجدة والحنان والعطف لا يقوم بها إلا الأنبياء وعظماء القديسين فقد أجله الناس وأرادوا أن يكرموه ويقدموا له ما يشجعه من التقديس والتعظيم ولكنه قاوم هذا الشعور بأعمال اخري حقيرة لكى يقلل من قيمة أعماله الروحية الجلية. فقد أنكر اسمه عندما سأله عن اسمه. فكان يقول عن نفسه ان اسمه رويس أى اسم جملة. وعندما ألحوا عليه لمعرفة حقيقة اسمه. قال لهم سمونى: "تيجي أفليو (teji evl/ou) (أى تيجي الكاذب)". ومن الغريب أن هذا الاسم "تيجي" هو الذى أطلقته الكنيسة على هذا القديس العظيم فى مجمعها وطلباتها وتماجيدها التى تقيمها تذكارا لجهاده.

8- غرابة أسلوبه فى معيشتته وتحمله الاضطهادات وقد غطى اعماله الروحية العظيمة بسلوكه الغريب. فقد كان يسير فى الطرقات عارى الجسم مكشوف الرأس مشوش الشعر. يسكن فى عشة من الخوص أو ينام على قارعة الطريق. وكثيرا ما جلب عليه هذا الأسلوب الغريب

الغامض تهكمات العامة. وتعديات جهّال الناس وسفهائهم. فكانوا يرمونه ويلطمونه ويسبونونه ويبصقون على وجهه ويطعنونه ويعتدون عليه بشتى ضروب الاعتداء والاذى. وكان يرحب بهذه الإضطهادات ويحتملها بصبر عجيب وكان عندما تثور نفسه ضد هذا الموضوع المهين يخاطبها بقوله "طوباك أيها الشهيد البطل جرجس. فقد أهانوك وضربوك وطمعوك وأماتوك وأنت فى شرخ الشباب واحتملت كل ذلك من أجل المسيح اما انا الشيخ الذى لم يقاس عشر ما أتألم وأحزن وطوباك يا يوحنا السابق الرجل العظيم لقد قدمت رأسك إلى الجزار هيرودس لكى يقطعها أما أنا الشيخ الفانى فإنى لا احتمل طعنة صغيرة. وأين ما اصابنى مما أصاب الشهداء العظام الذين تعرضوا للحريق والغرق والعذاب والعقاب والموت" ولكى يسد نقص العذابات التى كان يقاسيها من الناس كان يحبس نفسه فى امكنة نائية ويعتزل الناس اشهرا عديدة ويصرف هذه الأوقات فى الصلوات الحارة والاصوام الانقطاعية والاتصال بالله عز وجل ولقد نظر السيد المسيح إلى انسحاق قلبه وطموح روحه وحبه وقوة ايمانه وعظم صبره. وظهر له فى عزلته خمس مرات بمجد لا ينطق به وخاطبه مرة فما لأذن.

وبمثل هذه الرؤي كان يتشجع ويصمد لشتى الآلام وصروف الايام ويصمت عن الكلام وكثيرا ما اجتمعت حوله الغوغاء وسألوه كى يخاطبهم فكان لا يجاوبهم وفى مرة حتموا عليه أن يتكلم ولكنه لم يجيبهم فاخذوا يضربونه ويكونون ظهره بالنار وصفعوه على فكه فخلعوا ضرسه لكى يفوه بكلمة فلم يظفروا منه بكلمة ما.

9- اضطهاد الامير سودون لأنبا رويس

وسعى البابا متاؤس فى خلاصه

قبض عليه الغوغاء وقادوه إلى الأميرِ سودون فسأله عن قضيته فلم يرد وحاول الأمير عبثاً أن يرغمه على الكلام فلم يجبه إلى طلبه فأمر بضربه فضرب اربعمائة عصا. وسأله بعد ذلك أن يفوه بكلمة واحدة. فلم يتكلم. فأمر بضربه مرة أخرى وبالباسه طرطوراً أحمرًا والسير به عارياً هو وتلميذه في طرقات المدينة إمعاناً في تحقيره والتشهير به. وأصابه في ذلك اليوم من الرجم والضرب والإهانة ما تهتز لهوله الجبال. ولكنه احتمل كل ذلك صابراً لأن المسيح كان يظهر له ويقويه كما أخبر أخصائه فيما بعد.

واخيراً أمر الأمير بسجنه. فتألم تلميذه وتوجع من هول ما شاهد فقال له رويس: "لماذا تنتهد يا بنى. لو انك رفعت عينيك إلى السماء وأبصرت السيد المسيح وهو قائم معنا وقت الضرب لما اهتممت بما قاسينا".

وكان بالسجن ثمانون اسيراً من الأفرنج فالتقوا حوله. فعزاهم وقواهم وطلبوا منه أن يسأل الله أن ينقذهم من سجنهم وأسرههم فصلى من أجلهم فاجاب الله طلباته بأن أرسل البابا متاؤس الكبير إلى الأمير وطلب إليه أن يطلق القديس فريج والاسرى الأفرنج فاجاب الأمير طلبه فاطلقهم جميعاً. فأخذ البابا البطريرك القديس إلى قلايته بحارة زويلة وصار يضمد جراحه ويعالجه حتى شفى وزال عنه ما كان يتألم منه.

10- ملخص أعماله الشفائية والخلافية

نبتدى بمعونة السيد المسيح وارشاد الروح القدس بكتابة الآيات والعجايب التي اجراها الله على يدى القديس العظيم أنبا فريج الشهير بانبا رويس وهى تتلخص فيما يأتى:-

(1) قابل القديس فريج الشماس اسحق بن الأديب فتنبأ له انه سيصير قسيسا على دير الخندق وانه سيموت عنده وسيجنزه ويدفنه فى دير الخندق وبعد أيام قليلة مات قسيس الخندق ورسم الشماس اسحق قسا بدله ومكث ثلاثة وثلاثين سنة يخدم فى هذا الدير إلى اليوم الذى تتيح فيه القديس فريج فقام بتجنيزه وبعد ذلك مرض القس المذكور ورأى القديس فى حلم اعلنه بقرب وفاته وطلب ان يسرع فى تسليم ما بعهدته ثم تتيح القس فى الميعاد الذى تنبأ عنه هذا القديس.

(2) مرض أحد تلاميذ الأنبا رويس فصلى إلى الله أن يهديه الشفا بصلاة معلمه وأبيه ثم رآه فى حلم وقال له قد حضرت الساعة التى تترك فيها هذا العالم فاستيقظ حزينا وودع أهله استدعى اليه القديس ولما حضر أخذ اناء ماء وصلى عليه وسقى منه المريض رشم به باقى جسمه وقال له لا تخف قد وهبك السيد المسيح الحياة لتتظر يوم انتقالى وتسجل انوار حياتى وشدايدها فقام التلميذ معافى وكتب سيرة القديس كما تنبأ.

(3) مرض المدعو ميخائيل البنا من بلدة منية السيرج بمرض الصرع حتى وصل إلى الموت فاستغاث بالله واستشفع بالقديس رويس ولما حضر القديس عنده لم يعرفه المريض وأصبح يرى عبداً سودا قابضين على اسهم ناربية يهددون حياته فحانت منه التفاتة فرأى القديس فصرخ اليه قايلًا: "إنقذنى يا أبى من هؤلاء الزباينة القساة" فاجابه القديس قايلًا: "اذا تبت عما أنت فيه أنقذتك منهم وردتهم عنك" فقال: "يارجل الله لقد تبت أمام الله وعلى يدك" فالتفت القديس إلى هؤلاء العبيد وأمرهم أن لا يعودوا اليه مرة أخرى لانه عاد إلى المسيح واب فرجعوا عنه وللوقت أفاق المريض من نوبة مرضه

معافى صحيح الروح والجسد. وصار من هذا الوقت يتردد القديس على المنزل. وقد كان فيه بئر ماء ملح مر المذاق فصلى القديس وشرب منه فصار مأؤه عذبا وتبارك من هذا الماء المرضى وكانوا يشفون.

(4) كان ببلدة بركة قرموط عائلة مسيحية وكان رجلها يدعى فخر الدولة ابن الشقى ولم يرزق نسلا وكان هو وزوجته يطلبان من الله أن يهبهما ولدا ويستشفعان بالقديس رويس فرزقهما الله ولدا وكانت والدته تأخذه وتباركه من القديس رويس واتفق بعد انتقال القديس من هذا العالم ان مرض الولد مرضا خطيرا ولما عوفي اصيب بالخرس والصمم والعمى فاغتمت والدته كثيرا ويأست من شفائه فقادته إلى قبر القديس رويس وهناك بكت بكاء مرا على مصيبة ولدها وطلبت إلى القديس أن يساعدها بصلواته على شفائه وبقوة ايمانها وحرارة صلاتها انفتحت عينا ابنها وهتف الطفل قائلا: "انظرى ياماه فاننى أرى القديس رويس ومعه سيدة جليلة القدر وراهب وقور وهم في نور ومجد عظيم" فلما سمعت منه ذلك سجدت إلى الأرض ومجدت الله وتأكدت ان السيدة العظيمة كانت العذراء والراهب الشيخ هو القديس أنطونيوس كوكب البرية لأن ذلك اليوم كان تذكاره.

(5) اصيبت سيدة من أعيان القبط تدعى بنت الزهرى برمد صديدي كاد يفقدها البصر ولما يئست من الشفاء على يد الأطباء لجأت إلى رجل الله أنبا رويس فلما رآها القديس تحنن عليها ورفع العصا به عن عينيها فامتعت فانتهرها وجذب الرباط بشدة ثم تفل على الأرض وأخذ طينا وطفى به عينيها ونفخ فى وجهها ثلاث مرات فانفتحت عيناها للوقت ومجدت الله.

(6) واتفق ان زوج بنت الزهري سافر مع الامير منطاش إلى الشام وانقطعت عنها أخباره فالتجأت إلى القديس رويس وطلبت إليه أن يساعدها بحكمته فقال لها رويس: "لا يمكنني أن اساعدك إلا إذا توجهت إلى الشام ووقفت على أحوال زوجك. ونهض على الفور وسار في الطريق إلى قناطر الأوز المؤدية إلى الشام وغاب نحو ساعة وعاد إليها. فلما أبصرته قالت له مكتئبة: "هل رجعت عن رأيك ألم تعدني بالسفر إلى الشام لتطمئني" فاجابها قائلاً: "لقد بررت بوعدى وكنت في هذه الساعة بالشام ورأيت زوجك وخلصته من اعدائه وهو الآن بأمان" فانددهشت المرأة ولم تفهم كلامه.

ولما رجع زوجها سألته عن أخباره فاجابها قائلاً: "عند عودتي من الشام ثار على الجنود المنطاشية وارادوا الفتك بي في الصحراء ليستولوا على ما بعهدتي من الأموال. واذا بشيخ عربي عارى الجسم مكشوف الرأس كان على رأس جماعة هجم عليهم وبدد شملهم ورافقوني حتى أوصلوني إلى الوطاق السلطاني عند الملك الظاهر برقوق ففرح بي كثيراً وقصصت عليه كيفية خلاصى من الجنود. فاخذ يسألني عن الشيخ العريان ومقره فلم استطع أن أدله عليه". فقالت زوجته: "ان هذا الشيخ العريان هو أبونا الطوباني رويس الذى شفى عيني من الرمذ قبل سفرك إلى الشام وعند غيابك الطويل طلبت نجدته فانجذك".

فتوجه مع زوجته إلى مقر هذا القديس وقدم له بعض النقود شاكرًا فرفض أخذ شئ منها وقال له: "لماذا تشكرنى. اننى لم اعمل شيئاً يستحق الشكر فاذهب إلى السلطان برقوق الذى أعطاك هذه النقود من خزانته فانه سيلحقك بخدمته وستمكث في وظيفتك ست سنوات" فزاد

اندهاش الزوج من أقوال القديس وازداد اعجابه به. وتوجه إلى السلطان برقوق أخبره بكل ما حصل من القديس فرغب السلطان في رؤية رجل الله الطاهر والتعرف به. وعين السلطان الزوج في خاصته الشريفة وظل يعمل بها ست سنوات حسب نبوة الأب المذكور أما زوجته فكانت تبر بصدقاتها على رهبان الأديرة وتوزع الهدايا على المساكين والمنقطعين والمترددين اعترافاً بفضل هذا القديس.

(7) كان رجلاً غنيا يدعى السعيد بركة بن وجه المهر انكسرت رجله فاحضره رجاله إلى القديس رويس وسألوه أن يشفيه فانتهرهم فقال لهم: "هل أنا المستشفى العتيق حتى احضرتم إلى ابن وجه المهر كي اعالجه!. فلو ان هذا الرجل عمل الرحمة مع اخوته المساكين الجياع واعانهم في ضيقتهم بما أعطاه الله من خير لطلبت شفاءه أما وهو لم يواسيهم في كربهم فلا يستحق المساعدة".

فاجاب المريض متذلاً وقال: "نعم ياأبي اني حولت وجهي عن مساعدة اخوتي الفقراء وقسوت عليهم في شدتهم واعاهدك اليوم إذا من الله عليّ بالشفاء بصلواتك ان أعطى كل ما أملك للمساكين" فرح به القديس وباركه وصلى إلى الله متوسلاً طلب شفائه فاجاب الله طلبه وقام معافى وياشر أعماله. وبر بوعده فكان يغدق على المساكين بعطاياه ويفتقدهم ويزور أديرة الرهبان والراهبات ويقوم باحتياجاتهم ونبغ في موهبة العطاء حتى بلغ ما قدمه لآخوة المسيح الف ارب قمح في كل عام وكان كلما يسخا في العطاء يزيده الله غنى ويساراً.

وحدث ان الملك الذي يخدمه هذا الارخن ابن بركة أراد أن يحوله عن ايمانه كي يتخذه وزيراً له فحزن

وارتبك في أمره فحضر اليه القديس رويس وقال له: "لا تحزن فسيموت هذا الملك قريباً وأنت ثابت على إيمانك" وفعلاً تمت نبوته ومات الملك وتمسك الأرخن بدينه وازداد تعلقاً بالقديس رويس. وصادف مرة أن سافر ابن بركة في مهمة بطريق البحر وهاج البحر وكادت المركب تغرق. فكتب ابن بركة ورقة بعنوان القديس رويس مستغيثاً به وطرحها في البحر. فرد عليه القديس يطمئنه على حياته وأنه لن يصيبه غرق وقد نظر الله إلى رحمتك وتواضعك ووهبك اثني عشر سنة على عمرك كي تكمل رسالة الإحسان التي تضطلع بها" ففرح ابن بركة جداً وازداد في توزيع الصدقات. وعندما قربت ساعة انتقاله دفعه شعوره بدنو الأجل فباع كل أملاكه ووزع قيمتها على الفقراء والمحتاجين وكان كل أمنيته أن يموت في حضرة البابا متأس وقد أجاب الله سؤاله فانه عندما كان يزور هذا البابا في قلايته أدركه الموت فاهتم به وغسله بيده المباركة وكفنه وكتب على ورقة ما يأتي: "سألت فاعطيت قرعت ففتح الله لك" ووضعها في نعشه ودفنه باجلال عظيم.

(8) دخل القديس رويس ذات يوم في بيت داود الشماع بايع الشراب بحارة الروم فوجد فيه كمية عظيمة من السكر اشتراها ذلك ليطبخها شراباً. فاخذها القديس والقى بها في بئر البيت فاعترضت زوجة داود على ذلك ولأتمته على هذا التصرف السيئ. فاجابها رويس بكل هدوء قايلاً: "ان اعدام السكر أفضل من الحبس والجلد بالمقارع" وتركها ومضى. وفي تلك الساعة حضر زوجها ومعه جمع كثير من الشرطة الذين اخذوا البحث عن السكر لأنه كان مسروقاً من مخازن الحكومة فلم يجدوا شيئاً ونجا داود من الحبس والجلد

بالمقارع ومصادرة أمواله فشكر الله كثيراً على نجاته وسأل زوجته متعجباً عن سر الموضوع فأخبرته بما فعله القديس رويس. وفيما هو يفكر فيما أصابه من الخسارة بضياع السكر وافاه القديس وقال له: "انك تألمت لما أصابك من الخسارة ولكن اشير عليك أن تأخذ من ماء البئر في أوانيك فتحصل على الشراب المطلوب" فتردد الرجل فأخذ القديس سطلاً وملاً من ماء البئر وأواني الشراب ووضعها على النار فتحولت شراباً طيباً إلى أن استوفى كمية سكره فاندesh الرجل كثيراً وطابت نفسه وانصرف عنه القديس ولكن الطمع ملاً قلب داود فأخذ من ماء البئر ووضعها في قدر على النار لكي يحوله شراباً وبعد مجهود كبير ذاقه فوجد أن الماء زاد مرارة وملوحة. فبحث عن القديس رويس ولما عثر به رجاء أن يساعده في تحويل الماء إلى شراب. فاجابه القديس قائلاً: "ما أشد طمعك لقد حصلت على سكرك فلماذا تريد أن تأخذ ما ليس لك ابحت يا هذا عن خلاص نفسك".

(9) اعتاد جندي بحارة الجوانية أن يركب فرسه ويأخذ خبزاً ليتصدق على الفقراء والمساكين فرأى ذات مرة أنبا رويس جالساً على الأرض في أسمال بالية فظنه محروماً فتصدق عليه ببعض الخبز فأخذه القديس منه على غير عادته ولم يتركه ينصرف وأخذ حفتين من التراب وضعهما في منديل قال له: "لا تحتقر هذه العطية وستعلم منها ان الفقر الاختياري في سبيل الله اثن من غنى العالم كله"

فلما وصل الجندي إلى منزله وفحص ما يحويه المنديل فوجد نقوداً فضية جديدة فاندesh هو واهل بيته وشجعه على مضاعفة احسانه. ثم أخذ يبحث عن

القديس رويس فلما وجده فرح به فرحا شديداً و اراد أن يتصدق عليه لكي يعطيه عوض صدقته ترابا فاجابه القديس: "هل ظننتي فلاحا فاردت أن تستولي منى على خراج أرضي؟ اذهب وفرق على المساكين وعامل الفلاحين بالحسنى فمن يزرع بالبركات فبالبركات يحصد" فسر الجندي من كلام القديس وازداد فى عمل الخير وعامل الناس بالمعروف فضاغف الله له الخير وبارك له فى كل ما يملك.

وبالاختصار فان للقديس رويس أعمالا لا تعد ولا تحصى وكلها فى سبيل الخير من شفاء المرضى والخلاص من الضيق ونوال الخلاص بالتوبة وهداية الخطاة والانتقاذ من الشدايد وسطوة اللصوص نفعنا الله ببركات هذا القديس وشفانا من أمراضنا الروحية والجسدية امين.

11- استئناف القديس رويس رسالته الخلاصية

واستأنف القديس رسالته الدينية الخلاصية على اسلوبه الفريد فكان يؤم المنازل ويعلم المؤمنين ويقويهم على احتمال الآلام والاضطهاد ويساعدهم على حمل آتاعابهم ويشفى مرضاهم ويهدى خطاتهم ويتبنا عما فى جوف المستقبل من الحوادث العظيمة الشأن واهمها انذار قومه بوقوع غلاء فاحش سيعم أرض مصر و صار يحثهم على ادخار ما يقوم باودهم فى تلك الظروف الحرجة. فاطاعوه وفعلا عم مصر غلاء لم تره فى كل ادوار تاريخها حتى ارتفع ثمن القمح من 40 درهما إلى 400 درهما وبذلك امكنه انقاذ حياة الفقراء والمساكين من تأثير موجة الغلاء المميت.

وكان من أهم أعماله الاهتمام بمساعدة الرهبان والراهبات وكان يحض المؤمنين على مساعدتهم وينتهر اغنياء الامة البخلاء فيطيعونه ويتسابقون في عمل الخير .
12- مرض القديس في اواخر ايامه

وختم هذا القديس جهاده باحتمال مرض مزمن بصبر وجلد كأيوب الصديق ظل يعاني آلام المرض مدة تسع سنوات متتالية وهو طريح الفراش صامتا لا يكلم احدا محتملا كل هذه العوارض صارفا وقته في التتهد والبكاء والصلاة من أجل خلاص الخطاة الذين كانوا يترددون عليه وكان الناس يقصدونه من كل الجهات فينالون التعزية على يديه وهو في فراش المرض ويبرأون روحيا وجسديا ويهتدون بهديه ويتباركون منه.

13- انتقال القديس من العالم

وعندما علم بنهاية اجله استدعى تلاميذه وبارك عليهم واحداً واحداً ومسح جسده بالماء راشما كل اعضائه من قمة الرأس إلى اخمص القدمين بعلامة الصليب.

وفي يوم الاحد 21 بابه سنة 1121ش الموافق 18 اكتوبر سنة 1404م اسلم روحه الطاهرة ولم يكن بجانبه ساعة موته الا السيدة العذراء التي طلبها فاجابت نداءه كما اخبر احد تلاميذه حيث قال: "قد رايت في تلك الساعة امرأة منيرة كالشمس جالسة إلى جانب هذا الأب قد سلمها روحه المباركة تحقيقا لأمنيته وبذلك اكمل جهاده الحسن بسلام".

وانتقل هذا القديس في نفس اليوم الذي فيه تقيم الكنيسة تذكارا لسيدتنا العذراء ودفن بجوار كنيستها الطاهرة بدير الخندق.

14- سرقة جسد القديس دفعتان ورده إلى مقبرته

وفي اليوم الثامن من دفنه سرق جسده فظهر لتلاميذه اعلمهم بواقعة الحال فأعادوه إلى قبره وكانت تجرى من

جسده الطاهر آيات كثيرة فاغرى ذلك جماعة من المؤمنين فحاولوا ان ينقلوا الجسد الطاهر إلى دير شهران فحملوه فى سفينة فى النيل وفى طريقهم إلى الدير المذكور ثارت عليهم رياح شديدة وعواصف هوجاء كادت تغرقهم فاضطروا ان يرجعوا الجسد إلى قبره المبارك وظل القديس محافظا على كرامة جسده إلى وقتنا هذا.

وقد قامت جمعية نهضة الكنائس بهمة رئيسها الاستاذ أيوب فرج بتجديد بيعة هذا القديس فوق قبره الطاهر دون ان تتمكن من نقل رفاتة من مكانها الاصلى وقت التجديد لان هذا القديس حافظ على قبره فى مكانه حتى لا تمس رفاتة. نفعنا الله ببركاته امين.

ة	
1	المقدمة
3	مصادر الكتاب
4	تصدير
6	طفولية القديس متي 1
7	ميله إلى الرهبنة منذ حداثة سنه 2
7	انتصاره في أول تجربة حلت به 3
8	رسامته قسا 4
8	هربه إلى جبال القديس أنطونيوس 5
8	رحلته إلى أورشليم 6
9	عودته إلى دير أنطونيوس العظيم 7
9	اضطهاد القس متي والشيخ مرقس الانطوني 8
11	القس متي في دير المحرق بجبل قسقام 9
11	ترشيحه للبطريركية 1
12	رسامته باسم متاؤس الأول 0
13	توجيه اهتمامه نحو تأدية فروض الصلوات 1
14	واعانة المساكين 1
15	درس في الاعتماد على الله بدلا من المال 1
16	مقاومة البابا للمجاعة ومكافحة الغلاء 2
18	الرحمة تأتي ثماراً جيدة 1
20	نصائح وأحكام البابا متاؤس بارشاد الروح 3
22	القدس 1
23	تجديد عهد السلام بين مصر وملوك الحبشة 4
25	هدايا الملوك للبابا متاؤس لتجديد المحبة 1
25	والصلح 5
26	حلم البابا متاؤس وصفحه عن خصومه 1
27	فشل سعي العامة لهدم كنيسة المعلقة 6
27	فشل مؤامرة المعاندين في أمر هدم دير شهران 1
	خلع السلطان برقوق ونفيه إلى الكرك 7
	اضطهاد الأميرين منطاش ويلبغا للبابا متاؤس 1
	عودة السلطان برقوق إلى الحكم 8

		1
		9
		2
		0
		2
		1
		2
		2
		2
		3
		2
		4
صفحة		
ة		
28	القضاء على ثورة الشام واسر الامير منطاش	2
28	قيام تيمور لذك بغزو الشرق	5
29	وفاة السلطان برفوق وقيام ابنه السلطان فرج	2
29	خلاص البابا متاؤس من الاضطهاد والسجن	6
30	قيام الامراء باضطهاد البابا متاؤس وفشلهم	2
32	مواهب الشفاء التي منحها الله للبابا متاؤس	7
36	قيام البابا باعانة دوى الضيقات	2
39	كشفه لخطايا شعبه وخفايا الأمور	8
41	انتقال البابا متاؤس من هذا العالم	2
41	وصيته قبل وفاته	9
42	الاحتفال بجنائزته	3
42	العجايب التي اظهرها بعد دفنه	0
44	أسماء الشهداء القديسين الذين استشهدوا في	3
47	عهده	1
53	مرثية	3
61	تاريخ الشيخ القديس مرقس الأنطوني	2

61	تايخ القديس البار الانبا فريج (الشهير بانبا	3
62	رويس)	3
62	عائلته وميلاده وطفوليته	3
62	تشتيت عائلته بسبب الاضطهاد	4
62	اختفائه وسفره إلى مصر	3
63	سفره إلى الوجه القبلى	5
64	شدة تقشفه وبره	3
64	مواظبته على تناول الأسرار المقدسة	6
65	سموه الروحى ومواهبه وتواضعه	3
66	غرابية أسلوبه فى معيشته وتحمله الاضطهادات	7
71	اضطهاد الأمير سودون له	3
71	ملخص أعماله الشفائية والخلافية	8
71	استئناف رسالته الخلافية	
72	مرض القديس فى أواخر أيامه	1
	انتقاله من العالم	2
	سرقة جسده ودفعتان وردة إلى مقبرته	3
		4
		5
		6
		7
		8
		9
		10
		11
		11
		12
		13
		14
		4

